بدرية البشر



معارك «طاش ما طاش»

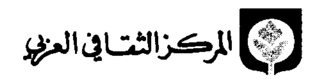
قراءة في ذهنية التحريم في المجتمع السعودي

المركز الثقافي العربي

بدرية البشر

معارك طاش ماطاش

(قراءة في ذهنية التحريم في المجتمع السعودي)



تقديم ليس مهمّاً أن تقرأه !

عندما خطرت لي فكرة هذا الكتاب (أن أرصد ردود الفعل حول مسلسل «طاش ما طاش») كنت أتحرك من منطلق أنني في المقام الأول باحثة اجتماعية، وفي المقام الثاني كاتبة رأي في الصحافة السعودية ولطالما كنت مشغولة بهموم مجتمعي، ومهتمةً برصد ظواهر الواقع الاجتماعي ومحاولة فهمها وتشريحها وعرضها للرأي العام. كنت أشعر على الدوام بمسؤوليتي الجادة، كمواطنة أولاً وباحثة اجتماعية وكاتبة رأي ثانياً، أن أقدم وجه نظري فيما يحدث، ومحاولة إثبات أن الواقع طالما احتمل وجهات نظر متعددة فإنه واقع صحي يقدم عدة خيارات لكل قارئ ومتأمل، وأن من يدّعي أن الحقيقة لها لون واحد ووجهة واحدة لا شك أنه صاحب فكر مأزوم.

هذا ما شعرت أنه يحدث حين هبّت عواصف من يمتلكون منابر الرأي وسيادة القوة ومطلق الحرية لتعطيل وتجهيل مسلسل فني كان يحاول جاهداً أن يقدّم وجهة نظر تخصه بديمقراطية فنية تمكّن من لا يعجبه العمل أن ينتقل بضغطة زر واحدة إلى

مئات المحطات التي يعرضها التلفزيون، لكن الشعبية التي حظي بها مسلسل مثل «طاش ما طاش» هي شعبية جاءت من منافذ متعددة، فهو مسلسل كوميدي والناس باتت تشتاق لما يخفف عنها رسائل الحرب والدم والعنف اليومي، ومن جانب آخر هو مسلسل محلي والناس ما اعتادت أن تشاهد كل يوم عملاً محلياً يرقى إلى مواصفات الأعمال العربية التي تراها كل يوم. ومن جانب آخر هو مسلسل شعر المواطن السعودي أنه يعكس همومه وأزياءه وأحلامه، وهو في كل الأحوال مسلسل يحبه أناس ولا يحبه آخرون. لكن هذه الشعبية التي حظي بها المسلسل لم تعجب الفكر المتشدد الذي ظل سنوات طويلة يحاصر الرأي العام بأيديولوجية تضيق كل يوم حتى أصبحت تدخل بين المرء ونفسه، وتقسمه وتشرحه وتحفر رسائلها في ذاكرته بأزميل الحرام والحلال حتى صار المرء لا يملك من أمره شيئاً، وصار كلما همّ بعمل بسيط وذاتي وسوست له نفسه بالإثم ليهرع إلى حراس الأيديولوجيات ليطمئنوه أو يجنّبوه النفس الأمّارة بالسوء. هذا الفكر المتشدد الذي فرّخ على مدار سنين طويلة مدارسه ومعاقله وأسواره الملأى بمريديه وتابعيه والمستفيدين منه هم اليوم من يمتلك زمام السيطرة على الرأي العام ومقاليد توجيهه ورسم خارطته. هؤلاء يظنون أنهم مسؤولون عن توجيه الناس لما عليهم أن يحبوا وألاّ يحبوا، وما يجب أن تكون عليه ردود أفعالهم. وهم غالباً ما يختصرون الطريق إلى عقول الناس باستخدام وسائل الترهيب والتخويف

من النار وتجريم الأفعال ببناء سد بين الناس والحياة، وحصرهم في دائرة يمكن مراقبتهم فيها وتشديد المراقبة. حتى أصبح البعض يضيق بتكميم العقل هذا الذي وصل إلى حد منع الناس من مشاهدة مسلسل وتعظيم الجرائم التي يرتكبها وتحذير الناس منه.

ظلّت فكرة رصد ردود الفعل الحادة وغير المنطقية ومحاولة البحث عن جذورها، تشغلني كفكرة بحثية لكنها ما إن اقتربت من واقع التنفيذ حتى تذكرت أشياء عديدة ستشغل كثيراً من الناس الذين سيختلفون معي والذين لن يهمهم سوى لماذا كتبت؟ وليس ماذا كتبت؟ وهو سؤال سيبنون عليه الكثير من التحليلات والنتائج والأحكام حتى قبل أن يقرأوا هذا الكتاب. سينشغل بعض الناس بسؤال: أليست الكاتبة زوجة أحد أبطال ومنتجي العمل ناصر القصبي؟ نعم هي زوجته، إذن كيف لزوجة أن تكتب كتاباً عن عمل لزوجها أو لقريب لها، وهل ستلتزم الحياد والموضوعية والأمانة فيما كتبت؟ وقد ينتهي بعضهم باليقين قائلين:- إذن لِمَ نضيع وقتنا ونقرأ ما نتوقعه سلفاً دفاعاً عن زوجها؟

إن كنت لا أدّعي مقدماً أنني أجد أن الالتزام بالحياد والأمانة العلمية والموضوعية بالأمر الهيّن على الباحثين حتى ولو كان من يكتبون عنهم ذوي قربى، إلا أنني في الحقيقة شعرت بالحرج زمناً طويلاً، ولازمني شعور بأن الناس ستظن

أن ما أكتبه سيتعدى كونه وجهة نظر ليصبح مجرد دفاع سخّرت فيه ملكاتي وخبرتي لأقف في صف قريب لي تربطني به علاقة طويلة، وإن كان هذا ليس من السهل نفيه إلا أنه كان أبعد أهدافي. وفي نهاية الأمر توصلت إلى حل ظننته وسطاً بيني وبين المحلفين الذين سيقفون أمام كتابي، وهو أن تكون هذه القراءة فيما يخص مسلسل «طاش ماطاش» هي قراءة في ردود الفعل كما وثّقتها الصحافة، وقد قمت بأخذ عيّنة من مجموع ما نشرته الصحافة، بلغت أربعمائة مادة صحفية نشرت عن «طاش ماطاش» طوال 14 عاماً. وفي نهاية المطاف سيلمس القارئ أنني حاولت على مدى صفحات هذا الكتاب أن أستعين بما كُتب في الصحافة لأكون واحدة من جمهور اتفق معي أو اختلف، مع المسلسل أو ضده، ليصبح الكتاب في النهاية مجرد رأي ووجهة نظر بعيدة عن الأحكام. لكنني دون شك لن أتنازل عن التأكيد على أملي الكبير أن يكون قريباً من قلب القارئ ووعيه وسعة صدره.

الفصل الأوّل

ذهنية التحريم

«يحدث أن يظن المرء أنه مستودَعٌ
رسالة، في حين أنه ليس سوى نعشها»
ماني

تستند ذهنية التحريم إلى تاريخ طويل من الصراعات التي جرت في المجتمع السعودي، هذه الصراعات التي أدّت في ظروف معيّنة، ولدوافع سياسيّة، إلى سيطرة نوع من التفكير يقوم على نظرة مطلقة لتطبيق الشريعة، غيّبت سَمَاحة الإسلام التي وردت فيها آيات كثيرة من القرآن الكريم ومن أحاديث الرسول، حتى غاب معنى «أنتم أعلم بشؤون دنياكم - ولا إكراه في الدين» لتحل محلّه صورة فَرَضت على الناس عيش دنياهم وفق تصورات من يعتبرون أنفسهم ممثلين لسلطة الشريعة التي يفسرون قوانينها وفق أهوائهم بما يكفل سيطرتهم على دنيا الناس، بالإكراه والقوّة.

وقد أدى ذلك إلى تململ فئات واسعة من الناس، هذا التململ الذي بدأ همساً راح يتسع ويعبّر عن نفسه، عبر عيش

نمطَيْ حياة، واحد داخل المملكة وآخر خارجها. ثم بدأ هذا التململ يطفو على السطح فتجلّى في تمردات يقوم بها شبّان هنا وهناك وفي الطرقات والأماكن العامّة، وفي الحديث عن الدونيّة التي تُعامل بها المرأة في هذا المجتمع، وفي تحوُّل الهمس إلى كلام صريح في الصحف والتلفزيون، وفي تظاهرة النساء اللواتي خرقن قانون منع المرأة من القيادة. وهنا توجد مفارقة مضحكة ومأساوية في آن، إذ أوردت وكالات الأنباء العالمية أن امرأة سعودية (لم يذكر اسمها) تملك أكبر عدد من السيارات يملكها شخص في العالم، فيما هي ممنوعة من قيادة السيارة!!

لقد عانى هذا المجتمع وبسبب سيطرة هذه الفئة التي تمارس سلطتها باسم الدين، من فقدان أي نوع من الحريّة الشخصية، ولوحق الناس على تصرفاتهم التي تخصّهم، حتى في خلواتهم، حيث منحت «هيئة الأمر بالمعروف» سلطة ملاحقة الناس حتى في منازلهم.

هذا الوضع أدى إلى ازدياد عدد الذين يرفضون هذه السيطرة التي لا تقوم على قانون معروف، بل على تفسيرات للشريعة وللإسلام بما يتلاءم مع إحكام السيطرة، مما خلق جواً من الخوف من أي نقد، فغاب النقد وصار المجتمع يعيش نوعاً من التسليم، يبدو في ظاهره كأنه نوع من الاستقرار فيما هو يزيد الجمر تحت الرماد.

هكذا صارت ذهنية التحريم تسيطر ليس فقط على طريقة

النظر إلى الدين، وعلى العلاقة التي تربط الإنسان بالخالق عز وجلّ، بل على علاقة الإنسان بالسلطة الحاكمة، هذه السلطة التي مهما كانت عادلة، فإن غياب النقد، وغياب قدرة الإنسان على التعبير عما يراه من أخطاء، لن يكون في صالحها ولا في صالح المجتمع الذي يجب أن تُمنح له سبل التعبير عما يراه خطأً وعما يراه صحيحاً، بما يدفع الحاكم لتصحيح الأخطاء ولإقامة علاقة صحيّة مع شعبه الذي يحكم باسمه.

* * *

لم يكن مسلسل «طاش ماطاش» سوى حصاة صغيرة في هذه البركة الراكدة، فبمجرد أن رمى هذه البحصة حتى ظهر كم هو كبير عدد الناس الذين ما عادوا يطيقون هذا الركود الذي يساعد على جعل هذا الماء آسناً، ومليئاً حتى بما لا يرضى عنه مجتمع سليم.

فالمجتمع السليم هو مجتمع الآراء المتعددة، مجتمع يحكمه قانون واضح وغير خاضع لتفسيرات تتبع أهواء ومصالح فئة معينة، مجتمع يختلف فيه الناس تحت سقف القانون: «اختلاف أمتي رحمة». هذا المجتمع غيّبته ذهنية التحريم، ولذلك اعتبرت أن كل اختلاف وكل نقد، بمثابة إعلان عداوة نحوها.

ممنوع النقد: هذا شعارها. ولذلك عندما ظهر مسلسل «طاش ماطاش» وبدأ يلامس علناً ما تهمس به فئات واسعة من

المجتمع السعودي سراً، صار هذا المسلسل، كغيره من الحالات التي قام بها كتّاب أو صحفيون، صار محط أنظار واعتراض هذه الفئة التي أعطت لنفسها سلطة على المجتمع، تحرّم وتحلّل وفق أهوائها ومصالحها.

لقد صار هذا المسلسل قضيّة في هذا المجتمع الذي كان ينتظر فرصة للتعبير عن الضغط الذي يتعرّض له، وصار هذا الجمهور الذي يطمح للتعبير، لأي شكل من أشكال التعبير، وخاصة للتعبير عن روح النقد والاعتراض، يضغط على معدّي المسلسل، ويدفع المسلسل إلى أكثر مما كان قد خُطط له ربما. فقد صار تفاعل الجمهور الواسع مع المسلسل سبباً في مزيد من المسؤولية على فريق المسلسل، مسؤولية شخصية من جهة، بمعنى التفكير في المدى الذي يمكن أن يُسمح به بحيث لا يتوقف المسلسل، وفي أين تقف الخطوط الحمر التي لا يُسمح بتجاوزها؟ ومسؤولية عامة بسبب التفاف الناس واهتمامهم. ولكن وفي كل مرّة كانت تحصل خطوة تتجاوز ما كان يتصوره فريق المسلسل. وكل هذا كان بسبب تلاقي رغبتين: رغبة فريق المسلسل في الدخول على ما اعتُبر ولفترة طويلة، ودونما مبرر وعن خطأ، أنه محرّمات لا يجوز المسّ بها. ورغبة الناس في مزيد من النقد وكشف الثغرات التي وجدوا أن المسلسل يعبّر عن طريق عرضها عن طموحهم ورغبتهم في الكشف عنها.

لقد انقسم الجمهور كما يكون أي انقسام صحّي في أي

مجتمع، انقسم بين رأيين. وهذا فتح حواراً كان يدور في كل مكان، في الصحف، وفي الشوارع، وفي البيوت، وعند الحكّام، وفي الجوامع.. لقد كان يمكن لهذا الحوار أن يفتح باب معرفة هذا المجتمع، معرفة رأيه في ما يتعرّض له هذا المسلسل أو ما تتعرض له تلك المقالة، أو هذا الكتاب، أو ذلك المحاضر... وأن يسهم في تأسيس مرحلة جديدة يحتاج إليها المجتمع السعودي.

ولكن ذهنية التحريم وقفت بالمرصاد. لقد اعتبرت أن كل ما يُقال، بما في ذلك ما يقال عن السلطة والحكومة، هو أمر يمسّها ويمسّ سلطتها. فهي تعتبر نفسها أنها أصل السلطات، وأنه حتى السلطة الحاكمة تحكم بواسطتها. هكذا ترى نفسها.

ترى نفسها سلطة فوق كل السلطات، سلطة تدّعي لنفسهاتمثيل إرادة الله عزّ وجلّ. هكذا تتعامل مع نفسها، هكذا هو تاريخ وصولها إلى ما وصلت إليه، إنها سليلة تاريخ الصراعات على السلطة، سلطة الدنيا عبر سلطة الدين. إنها وريثة الإخوان وحركة جهيمان والمجاهدين الذين ذهبوا إلى أقاصي الدنيا «لإعلاء كلمة الله»، إنها الحامي للمجتمع بكل أطيافه سلطة وناساً، الحامي لانتظام حياة الناس وطرق معاشهم وتدبير أمورهم، متى يعملون ومتى يصلّون ومتى تفتح المدارس ومتى تقفل... ومتى، ومتى... إنهم حماة الشريعة، وهذه الشريعة: شريعة الله، ولا سلطة فوقها!!!

هكذا بدأ هذا الصراع، إنه الصراع الفعلي، الصراع

الطبيعي بين المجتمع وحكامه، وداخل المجتمع نفسه، وكما سبق أن قلت كان يمكن لهذا الصراع أن يمنح المجتمع السعودي الراكد، فرصة لتجديد نفسه لو أنه فتح أبواباً أوسع للحوار والاختلاف، إذ لم يكن المسلسل وحده من يقوم بنقد تصرفات الناس والسلطة والإدارات بل كان يتلقى النقد من الناس أيضاً، وراح قسم من الناس، وهو كبير، يعتبر أن السلطة والحكومة تقف وراء هذا المسلسل لتنفيس غضب الناس وانزعاجهم، وقسم منهم يرى في المسلسل لسان حاله. إلا القيمين على ذهنية التحريم، فقد اعتبروه عدوّهم، هو عدوّهم سواء جاء من السلطة أو من الناس. وهذا هو بالضبط ديدن الذين يقيمون سلطتهم على أساس النطق باسم الله عزّ وجلّ في الأرض.

بدأ الهجوم، الهجوم الفعلي، عندما مسّ مسلسل «طاش ماطاش» سلطتهم، عبر نقد، كان حذراً، لبعض الظواهر الاجتماعية التي تلبس لبوس الدين، وتعرّض لبعض مظاهر التديّن الكاذبة، التي تتخذ سمة التقوى والتديّن من أجل مصالحها...

لقد مسّ المسلسل سلطة ذهنية التحريم مسّاً فقط، عبر حلقات «بدون محرم» و«شو من لحية» و«إرهاب أكاديمي» و«واتعليماه» و«صالون الهيئة» وكلّها كانت تركز على الفساد الذي ينتج عمن يلبس لبوس الدين فيما يمارس عكس ما يرضاه الله ورسوله.

إن المجتمع السعودي بكامله، يعرف أن الهيئة تمثل سلطة، وليست مجرّد عمل ديني. وكما انتقد المسلسل السلطة الحاكمة، وقيل عنه إنه محمي من السلطة، ولولا ذلك لما استطاع قول ما يقوله، فقد انتقد «الهيئة» التي تمثّل سلطة أيضاً، وهنا قامت القيامة:

فتاوى، ومطالبة بالمنع، خطب في الجوامع، تدخّل في المدارس، تحريم، منتديات انترنت. . .

لم يكن من السهل، بل كان من غير المقبول إطلاقاً، أن تُنْتَقد سلطة التحريم هذه، هذه السلطة التي بنت نفسها عبر تاريخ طويل. وذهنية التحريم التي حاربت المسلسل لم تكن سوى واحدة من حروب ذهنية التحريم التي كانت تظهر وتختفي في سياقات اجتماعية متكررة في تاريخ المجتمع السعودي منذ ظهور الدولة السعودية الحديثة عام 1932م، حتى يومنا هذا، فقد تصادمت ذهنية التحريم مع مظاهر التغيير عند نشوء الدولة، ولم تجد القوى المناهضة للتغيير سنداً قوياً يؤثر في وجدان الناس ويكسب تعاطفهم وأسماعهم ودعمهم إلا تلبّس هذه القوى ثياب الدين والتمسح بمسوحه والظهور بزيه. وفي هذا الفصل سوف نعرض لتاريخ الحركات التي كانت ذهنية التحريم عماد حركتها وجوهر فلسفتها.

ظهرت ذهنية التحريم بملامحها المتشددة والمتزمتة في ثقافة المجتمع السعودي، منذ بداية عهد تأسيس دولة المملكة العربية السعودية الحديثة. وقد تسببت هذه الذهنية في عديد من

المصادمات الفكرية ذات الطابع السياسي، أخذت تتصاعد مظاهرها، حتى وصلت إلى مستوى الصدام بين الحكومة والقوى المناهضة للتغيير، مما أسفر عن معارك دامية.

ما هي ذهنية التحريم؟

قبل أن نستعرض أهم تلك المصادمات في تاريخ المجتمع السعودي لا بد من وصف المقصود بذهنية التحريم التي يصوغها سلوك يعرف بالتطرف، يعتبر هو السبب الرئيس والدافع لهذه الحروب.

تتسم ذهنية التحريم بالتطرف والتشدد والانغلاق والذي يعني الجمود العقائدي والانغلاق العقلي، وهذا في الواقع هو جوهر الفكر الذي تتمحور حوله ذهنية التحريم. وهو «أسلوب مغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبّل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة أو التسامح معها.

ويتسم هذا الأسلوب بنظرة إلى المعتقد تقوم على:

1- أن المعتقد صدق مطلق وأبدي.

2- أنه يصلح لكل زمان ومكان.

3- لا مجال لمناقشته ولا للبحث عن أدلّة تؤكده أو تنفيه، فالمعرفة كلها بمختلف قضايا الكون لا تستمد إلا من خلال هذا المعتقد دون غيره.

4- إدانة كل اختلاف عن المعتقد، والاستعداد لمواجهة الاختلاف في الرأي، أو حتى في التفسير، بالعنف.

5- فرض المعتقد على الآخرين ولو بالقوة»[1].

وليس صحيحاً أن تلك الذهنية ذهنية التطرف والانغلاق هي ذهنية تنطلق في معاداتها للآخر من منطلق الدين بل من منطلق التمسك الأعمى بأفكار وقيم ومبادئ تاريخية معينة. فكثير من الحركات السياسية المتطرفة في العالم لم يكن للدين علاقة بتعصبها كالنازية والشيوعية والبعثية، لكنها رغم هذا بلغت في حدة تطرفها ما يمكن مقارنته بالتطرف الذي ظهر في الحركات الإسلامية خلال التاريخ العربي الإسلامي من شدة العنف والتطرف والقمع الاجتماعي.

والتطرف بشكل عام سلوك سلبي يظهر على هيئة تشدد وانغلاق جامد يرفض الاستماع للطرف الآخر ويرفض النقاش معه، لكن الإسلاميين يختلفون حين يضعون مستقبل كل مخالف لهم في جهنم وبئس المصير. كما أن الخلاف ليس بينهم وبين المخالف، بل بين الله وبين المخالفين، كما أنهم ينصبون أنفسهم لحراسة هذا الخلاف ومعاقبة أهله باسم الله والدين.

والتطرف «ظاهرة مرَضيّة على المستوى العقلي والمعرفي والعاطفي والوجداني والسلوكي، وله سمات ظاهرة على صاحبه، أهمها انعدام القدرة على التأمل والتفكير وإعمال

---

(1) سمير أحمد، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990، ص 218.

العقل بطريقة مبدعة وبنّاءة، كما أن سماته الوجدانية والعاطفية تظهر في شكل اندفاع وجداني حاد، فهو إما كاره حاد أو محب غارق في المحبة، كما أن كراهيته مدمرة وغضبه ينفجر دون مقدمات ليدمر من حوله، أما على المستوى السلوكي فإن المتطرف شخص مندفع بلا تعقل يميل غالباً للعنف»[2].

«التطرف ليس سلوكاً دينياً أو قناعة دينية بقدر ما هو «شخصية»، إذ يجمع الباحثون والدارسون النفسيون على أنها شخصية تميل إلى المرض أكثر من الصحة ويتجلى هذا المرض عند المتطرفين بصورة خاصة في موقفهم من المرأة، فهناك دائماً أوهام غواية المرأة للرجل مهما كان سنها أو مكانتها (زوجة أو ابنة أو أختاً أو أماً) وهناك دائماً أوهام حيوانية الرجل وشهوانيته تجاه المرأة وأيضاً الشك الدائم في الذات وفي الآخر ذلك أنه لا يمكن الفصل بين الاثنين، الذات والآخر»[3].

وكما أن هناك سلوكاً متطرفاً فإن هناك أيضا ثقافة متطرفة، وهي تلك الثقافة التي تعلي من شأن معين أو من قيمة معينة على حساب قيم أخرى أكثر إنسانية. فالثقافة القبلية مثلاً هي ثقافة متطرفة في إعلاء شأن القبيلة على حساب الفرد حتى أن الفرد يذوب في القبيلة ويصبح وسيلة لها. وكلما وجدت الشخصية المتطرفة ثقافة متطرفة ترعاها وتغذيها كانت بيئة غنية

(2) المرجع نفسه، ص 218.
(3) المرجع نفسه، ص 218.

لرعاية التطرف الذي يمكن أن تتنوع أشكاله وتتعدد مظاهره، بل إنه يمكن أن نجد في مجتمع واحد عدة عصبيات وقد تختفي عصبيّة لتحل محلها عصبيّة من نوع آخر لكنها تحمل سمات الانغلاق ورفض الآخر.

هذه السمات ظهرت بشكل واضح في ملامح ذهنية التحريم المحلية في المجتمع السعودي منذ ظهور الدولة الجديدة التي بدأ تشكلها في مطلع القرن العشرين، ساهمت في تكريسها الثقافة المحلية التقليدية التي تحمل داخلها بذور التطرف تحت عدة مسمّيات كالعصبية القبلية، والعصبية السياسية، والعصبية المجتمعية، والعصبية المذهبية والدينية.

عاش المجتمع النجدي فترة ما بعد تأسيس المملكة العربية السعودية كدولة عام 1932م وسط نمط ساكن ساعد عليه وجود ثقافة قبلية وسياسية متضامنة مع التقاليد وحامية لها، تميزت هذه الثقافة بالسكون والمحافظة، فهي تحرص دائماً على ما يكرّس نمط حياتها الساكن، ويأخذ بخاطرها خاصة أن مثل هذه الثقافة بسيطة، محدودة المطالب، بنيت في الأساس على منطق «عدو ما نجهل»، لكنها رغم هدوئها النسبي كانت تنتفض بحده تجاه كل ما يعكر صفو هذه المحافظة من تسرب للوسائل الحديثة والرغبات المتناثرة في المعاصرة، خاصة حين دخلت المملكة العربية السعودية ضمن سياق اقتصاد نفطي يضمن الرفاه وسيادة قيم الاستهلاك الرأسمالي.

ظهرت المعارك ذلك الوقت، حين بدأت بعض الوسائل

الحديثة تتسلل إلى المجتمع السعودي ودارت هذه المعارك بين تبرير وتنميط وتحجيم هذا الاستخدام. وقد اشتهر عن المجتمع السعودي أن له كثيراً من المواقف الحادة تجاه قضايا التحديث والتطوير، خاصة في مواقفه ضد تعليم المرأة في الستينات وقيادة المرأة للسيارة في التسعينات. لكن ذهنية التحريم في المجتمع السعودي كانت على الدوام أبعد من ذلك، ولا بد لنا من تتبّع تاريخي لأول هذه الحركات التي تزامنت مع نشأة الدولة السعودية الحديثة والتي شكلّت اللبنة الأولى في تاريخ الدولة لذهنية التحريم.

حركة الأخوان 1921-1927

ظهرت حركة «الأخوان» في بدايات تأسيس الدولة السعودية الحديثة، ساهم في ظهورها عدة عوامل أولها الانغلاق الجغرافي، والطبيعة الصحراوية الحادة الطباع، وهيمنة البنى التقليدية على المجتمع، ثم العصبية القبلية التي كانت سائدة آنذاك لحماية المجتمع والفرد، والتي كانت تعتمد على نشاط اقتصادي مهمته الرئيسية الطرد والنهب، وقد قلنا فيما سبق أن الثقافة القبلية هي ثقافة ضد الفردية والتنوع الفردي، بل إنها تحاربه وتعتبره شذوذاً عن القبيلة.

يظن البعض أن حركة الأخوان في بداياتها اكتنفها بعض الغموض بسبب السرّية التي أحاطت ببدايات نشأتها ورغم أن الحكومة البريطانية قد بدأت تتلقى تقارير من حكومة الملك

حسين عن حركة الأخوان إلا أنها لم تكن لديها المعلومات الكافية عن الحركة تيسر فهم مضامينها فهماً كاملاً، ومما هو معروف أن هذه الحركة ظهرت على يد المؤسسين الروحيين لها قاضي الرياض عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، وقاضي الأحساء الشيخ عيسى والمدعو عبد الكريم المغربي الذي وصل إلى السعودية في أواخر القرن التاسع عشر واستقر في منطقة صارت فيما بعد تُعرف بهجرة الأرطاوية.

البعض يرى أن الملك عبد العزيز أنشأها والبعض الآخر يشير إلى أنها حركة كانت قائمة في الأصل «لكن الملك عبد العزيز خلال سنوات قلائل حوّل هذه الجماعة إلى قوة مستقرة يمكن وضعها في أي مكان إذا ما أراد لها ذلك، وتوظيفها لصالح أغراض الفتح والغزو السعودي»[4].

كان ابن سعود بحاجة إلى قوة عسكرية تتمتع بخفة حركة البدو وولاء وشجاعة وإخلاص واستقرار وثبات الحضر. وكان المصدر الوحيد له هو البدو، ومع ذلك فقد كان يعرف جيداً أن هؤلاء البدو بحكم طبيعتهم التقليدية لا يمكن الاعتماد عليهم أو الوثوق بهم في المسيرات الطويلة بعيداً عن نجد، إذ إنهم ينسحبون من القتال فجأة وينضمون إلى الخصم، كما حدث في مطلع القرن التاسع عشر حين تخلّت بعض قبائل نجد والحجاز التي كانت موالية للعائلة السعودية وتحالفت مع

---

(4) جون حبيب، الأخوان السعوديون، دار المريخ، 1998، ص51.

قوات إبراهيم باشا قائد الحملة وتجرأت على توجيه القوات المصرية عبر الصحراء إلى أن وصلت إلى أسوار الدرعية.[5]

ارتبط مفهوم «الهجر» بمعنى الهجرة بالبدو الأخوان الذين اعتبروا أنفسهم قد دخلوا عهداً جديداً هاجروا فيه من حياة البداوة والترحال إلى الاستقرار ومن حياة الجاهلية إلى حياة التوحيد. ساهم مفهوم الهجرة في توثيق فكرة الأخوان واشتمل على فكرة هجرة حياة البداوة والاستقرار في الهجر التي أنشأها الملك عبد العزيز، فقد كان الأخوان يعتقدون بأنهم باستيطانهم الهجر بعد حياة الارتحال والغزو والنهب، قد انتقلوا من الجاهلية إلى بلاد الإسلام الحقيقي. ويقول الريحاني في تعريفه للهجر بأنها صيغة الجمع للهجرة التي يقول المعجم إنها تعني التخلي عن فكرة العيش بين الكفرة والانتقال للعيش في أرض الإسلام.

كان الأخوان ينشرون معتقداتهم بحماس شديد قد يدخل فيه في بعض الأحيان استخدام العصا. ولكي يميز الأخوان أنفسهم عن الآخرين صاروا يلبسون عمامة بيضاء ويحلقون شواربهم ويطيلون لحاهم وأحياناً يصبغونها بالحناء ويقصّرون ثيابهم إلى حد الركبة أحياناً. كما أن الأخوان يحرّمون أي آلة موسيقية ما عدا طبول الحرب، ولم يشربوا القهوة لأنها لم تكن معروفة في زمن النبي وتحاشوا التدخين كما يتحاشون السم.

(5) المرجع نفسه، ص 46.

وقد وصف أحد الباحثين ظهور الأخوان في المجتمع بقوله: «من السهل التعرف على الأخوان من ملبسهم، كما أن مظهر العمامة كان يُعدّ أشارة للمشاة بأن يغيروا مسارهم تفادياً للمواجهة المباشرة مع واحد من الأخوان، والسبب في ذلك أن أقل انحراف عن المبادئ يمكن أن يستثير غضب الأخوان، ويضاف إلى ذلك، أن الأخ قد فوّض لنفسه تنفيذ شرع الله، وهو يعتبر أن هذا التصرف سلوك شرعي يستوجب الأجر بينما يراه الضحية تشدداً لا مبرر له»[6]

عُرف «الأخوان» بحماس مفرط في التمسك بتعاليم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والولاء لمن تمسّك بها والتضامن مع من شابههم في مسلكهم، كما امتد هذا الحماس لمحاربة الكفر والكفار. والكفار الذين يستوجب محاربتهم ليسوا فقط غير المسلمين من الأوروبيين النصارى بل أيضاً المسلمون الذين لا يلتزمون بالمذهب الوهابي في الحجاز ونجد، وقد كانت صفة «المشرك» تطلق أيضاً على شيعة العراق الذين كانوا هدفاً دائماً لغزوات الأخوان.

استخدم الملك عبد العزيز هؤلاء البدو الذين عرّفوا أنفسهم باسم الأخوان بمثابة السيف في غزوه لشبه الجزيرة العربية والتي لا يمكن التغاضي عنها باعتبارها نتيجة طبيعية أو حتى باعتبارها نتيجة عارضة لهدف آخر من أهداف إنشاء حركة

---

(6) جون حبيب، الأخوان السعوديون، دار المريخ، 1998.

الإخوان. «وأكد مؤلفون كثيرون أن الملك عبد العزيز لم يكن متعصباً لكنه انتفع من حركة الأخوان واستخدمها متجاوزاً بمهارة مطالبها المتطرفة».

ظهرت ذهنية التحريم المتمثلة في حركة الأخوان كعارض لأول خلاف سياسي بين الملك عبد العزيز وجماعة الأخوان بعد استتباب الأوضاع والأمور والتسليم بحكم الملك عبد العزيز وإبداء رغبته في التخلي عن الغزو والفتح لصالح العمل على استقرار مملكته في الحجاز ونجد.

واجه الملك عبد العزيز بعد فتحه للحجاز مشكلة التعامل مع الأخوان، ورغم أن الملك عبد العزيز بوجه عام يدافع عن الخط الوهابي المتشدد إلا أن الأخوان راحوا يعملون بمنهج مُغرق في التشدّد، فقد قرروا أن يطهروا الحجاز من البدع المنكرة فهدموا القباب واعتبروها مخالفة للإسلام[7]. و«تأصل لدى الأخوان العداء لكل ما هو حضري بل واعتبروا الحضر متنكرين للإسلام فعادوا كل ما كان الحضر يستأنسون أو يتجملون به، فلما احتل الأخوان الطائف ومكة أخذوا يهشمون المرايا ويستخدمون الأبواب والنوافذ وقوداً للنار في إنكار واضح لكل مظهر للترف والتمدن.»[8]

كما برر الأخوان الأعمال الفظيعة التي ارتكبوها في حق

---

(7) جوزيف كوستنر، من القبلية إلى الملكية، مكتبة مدبولي، 1996، ص163.

(8) فاسليف، دار التقدم، موسكو، 1986 ص 322

الأبرياء، الذين كانت تهمتهم الوحيدة تدخين التبغ، برغبتهم في فرض معاييرهم الأخلاقية على الناس، كما قاموا بضرب النساء في الشارع، وإنزال العقاب العاجل بالمسلمين الذين لم يتبعوا قواعد الأخوان الدينية كالذين يتأخرون عن الصلاة، أو الذين لا يلتزمون التزاماً دقيقاً بصوم رمضان، وقد كانت تصرفات الأخوان القاسية هي القاعدة وليست الاستثناء.[9]

«كان الإخوان يدركون مدى سلطتهم ونفوذهم فقد أخذوا على عاتقهم فرض الشريعة بالقوة، بل إنهم أصبحوا يغزون الكفار باسم ابن سعود دون أخذ إذن منه، ومع تعاظم سلطة الأخوان بدأوا يستعملونها وسيلة للضغط على ابن سعود بعد أن كانوا عماد جيشه»[10].

أراد الملك عبد العزيز الذي كان حريصاً ذلك الوقت على عدم استثارة الأخوان بأن يؤكد لهم حرصه على الدين فأنشأ ما عُرف لاحقاً بجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحت إشراف عالِمَيْن من آل الشيخ وأمر الملك عبد العزيز الأخوان أن يبلغوا هذه الجماعة بكل ما يرونه منكراً على أن لا ينزلوا

---

(9) يذكر جون حبيب أنه في اليوم العاشر من شهر ابريل 1920م في الهفوف كانت شقيقة زوجة ابن جلوي وهي فتاة من قبيلة سبيع ترتدي ثوب حرير زاهي الألوان أثناء زيارتها لأختها للمدينة وقام أحد الأخوان الذي كان عند بوابة المنزل بضرب الفتاة ضرباً مبرحاً.

(10) جون حبيب، الأخوان السعوديون، دار المريخ، 1998.

هم العقاب وفق هواهم، ثم عممت هذه التجربة لتصل إلى الرياض فأسست هيئة لها في عام 1929م عندما بلغت انتفاضة الأخوان ذروتها. وقد اهتمت تلك الهيئات بمراقبة الناس ومراقبة مدى تمسّكهم بالدين كالصلاة وستر العورات ومنعهم من ارتكاب المعاصي مثل التدخين أو خروج النساء واختلاطهنّ بالرجال.

وقد اعتبر الأخوان أن هذا يقلّص سلطتهم، خاصة في ضوء المعاهدات التي عقدها مع الإنكليز، فانقلب الأصدقاء إلى أعداء. وأصبح من الواضح لابن سعود أن الأخوان قد خرجوا عن السيطرة وأصبحوا متغطرسين، ولذا يتعين عليه الاختيار بين توبيخ الأخوان أو إدارة ظهره لهم بسبب إساءتهم استعمال السلطة، حتى جاء اليوم الذي كان لا بد فيه أن يدفع الأخوان جزاء تسلّطهم وجبروتهم ضده مما تسبب في حرب شرسة انتهت بأعنف المعارك التي سميت معركة السبلة، والتي قال عنها أحد مرافقي الملك عبد العزيز: «إننا بقينا بعد المعركة ثلاثة أيام لا نسمع من شدة كثافة الرصاص الذي أطلق في تلك المعركة التي انتهت بهزيمة ونهاية الأخوان».

في خضم توتر العلاقة بين الملك عبد العزيز والأخوان، قدم له الأخوان رسالة احتجاج غاضبة، كمآخذ عليه، تلخّص هذه المآخذ فلسفة الأخوان القائمة على منطق التحريم، والتي لم تبرز المطامع السياسية في مظهرها الخارجي، بل اتخذت من الحرص على الدين غطاء لها.

هذه القائمة من المآخذ يمكن لها أن تقدم لنا توصيفاً دقيقاً لذهنية التحريم التي كان الأخوان يفكرون بها والتي يشيرون فيها إلى أن الملك عبد العزيز قد انحرف عن طريق الإسلام. ففي اجتماع عقده زعماء الأخوان مطير وعتيبة والعجمان في ديسمبر 1926م في الأرطاوية اتفقوا على تقديم مجموعة المخالفات التي يرون أنها مخالفة للدين وقدموها للملك عبد العزيز، تضمنت التالي:

1- سفر سعود ابن الملك عبد العزيز لمصر إثر حادث المحمل.

2- سفر فيصل للندن 1926 م للتفاوض مع الإنجليز مما يعني التعاون مع المشركين.

3- استخدام التلغراف والتلفون والسيارة في أراضي المسلمين.

4- فرض رسوم على سكان نجد، وهذا استغلال للسكان عن طريق الضرائب التي تجبى مركزياً.

5- منح قبائل الأردن والعراق في موسم الرعي حق الرعي في أراضي المسلمين، على اعتبار أنهم كفار أو متعاونون مع بلد الكفر.

6- حظر المتاجرة مع الكويت. فلو كانوا كفاراً يجب حربهم وإن كانوا مسلمين فلا يجدر أن يحظر التجارة معهم.

7- التسامح مع الخوارج الشيعة في الأحساء والقطيف،

فقد رأى الأخوان أنه إما أن يدعون للإسلام أو يقاتلونهم (الأخوان لا يعترفون بأن الشيعة مسلمون).

انتهت معركة السبلة بالقضاء على الوجود السياسي لحركة الأخوان، لكن فلسفتهم المتشددة ظلت باقية تحت رعاية آخرين اعتبروا أن ما حصلوا عليه غنيمة كافية للسكوت على مخالفات عبد العزيز رغم عدم رضاهم عنها. استمرت الذهنية المتشددة من خلال الطابع السلفي للعلماء. فقد كان العلماء وهم من شيوخ الدين يحظون بمكانة رفيعة عند الملك عبد العزيز الذي كان رفيقاً بهم ويُظهر لهم على الدوام الاحترام ويستمع لنصحهم.

«بعد نهاية حركة الأخوان السياسية، والقضاء على زعمائها، ظل الملك عبد العزيز يرى أن فئة العلماء من المشايخ هم الجناح الثاني للحكم السياسي، وهم كانوا يبادلونه طاعة بطاعة ويحثون الناس على التسليم بحكمه وأن طاعة الحاكم هي من طاعة الله، وأن لا جهاد إلا تحت رايته. وكان الأخذ بالتفسير الوهابي للشريعة في جميع أنحاء البلاد يعني في الواقع أن للعلماء بحكم أنهم المفسرون قدراً معيّناً من السلطة الدستورية والأدبية إلا أنها لم تكن سلطة رسم السياسة أو القدرة التنظيمية على تنفيذ الأحكام هذا فضلاً عن تطبيق المبادئ الوهابية باعتبارها دين الدولة وليس مجرد مجموعة من الأفكار الشعبية الإصلاحية التي ينشرها الإخوان كما كانت من قبل. وكدين للدولة عززت الوهابية من حكم

ابن سعود تاركة سلطة زمنية ضعيفة تحد من إرادة الملك بحكم القانون»[11].

عندما بدأ الملك عبد العزيز يخطط لإدخال تحديث ولو جزئي في الدولة، وحين بدأ يدرك أهمية التلفون والراديو لتعزيز سلطته وأهمية السيارة للأغراض السياسية والعسكرية، لم تلبث ذهنية التحريم المنتشرة في العقيدة المتشددة، والمنغلقة على محليتها أن توجست شراً من علامات التحديث اللازمة لقيام دولة جديدة. وقف السلفيون من العلماء وقفة حازمة ضد هذا التغيير وعبّروا عن سخطهم ورفضهم له، ورأوا أن هذه الوسائل من عمل الشيطان، فحاول الملك عبد العزيز إقناع هؤلاء بأن هذه مجرد وسائل لا تمس جوهر العقيدة ولا تهددها، بأن جعل متحدثاً في الهاتف يقرأ القرآن عبره، وأن يسمع معارضوه الراديو وهو يبث آيات من القرآن. إلا أن السلفيين لم يقبلوا أبداً السيارة واعتبروها من بدع المشركين، وقد أحرقت أول شاحنة ظهرت في مدينة الحوطة 1347هـ، ولم تكن الطيارة بأفضل حال من السيارة.[12].

استمرت ذهنية التحريم تسجل مواقفها المتصلبة أمام كل مظهر من مظاهر التغيير والتحديث، وحين جاء دور مدارس البنين (لم تفتح مدارس البنات إلا في عهد الملك فيصل

---

(11) كوستنر، مرجع سابق، 164.

(12) فاسليف، دار التقدم، موسكو، 1986، ص 322.

1960م) في حزيران يونيو 1930م احتج العلماء على إدراج مواد مثل الجغرافيا واللغات الأجنبية والتخطيط الهندسي في برنامج مديرية المعارف المؤسسة حديثاً، وزعموا أن التخطيط الهندسي هو تصوير بكل حال، أما اللغات فاعتبروها وسيلة لمعرفة الأفكار الدينية للمشركين وأثارت الجغرافيا نقمتهم لقولها بكروية الأرض بيد أن الملك عبد العزيز تجاهل احتجاجهم. ولقد استمر بعض العلماء المعروفين عند موقفهم ضد كروية الأرض حتى أواخر القرن العشرين، يرفضون ذلك القول ويعتبرونه كفراً[13].

وقف الأصوليون السلفيون من التعليم موقفاً صلباً على اعتبار أنه المؤشر الأخطر للتغيير الذي دخل إلى المجتمع، الذي لم يعهدوا من قبله سوى تعلم العلوم الدينية من حفظ للقرآن والفقه والحديث، وقد كانت لشيوخ الدين منذ فترة تأسيس المملكة العربية السعودية حتى يومنا هذا مواقف متعنتة ومتشددة حيال مظاهره، حيث كان المعلم الوافد للمدن والقرى، يحارَب، ويُنبَذ، ويشدَّد على تجار السلع ألا يبيعوه. ومع تقدم الوقت ظهرت مواقف مشابهة كلها تتفق مع أن أصحاب هذه الذهنية كانوا يجابهون بكل ما اختلف عنهم بالمنع والمصادرة والتكفير، ودعوة الناس إلى تبنّي الموقف نفسه. فقد ذكر على سبيل المثال أحد المواطنين من مدينة

(13) فاسليف، دار التقدم، موسكو، 1986، ص 3352.

صغيرة هي (الخرج) أنه في الستينات من القرن العشرين، استعان بدراجة هوائية للذهاب إلى مدرسته التي تبعد كيلوات عن بيته، وقد كانت الدراجة الهوائية غير معروفة في ذلك الوقت وتسمى (حصان إبليس) وكان محرماً على الناس ركوبها، ومن يضبط، وهو يمارس هذا الفعل الفاضح، فإنه يجلد بخمس (عصي) جلدات وتصادر منه الدراجة[14]

ظلت السياسة السعودية تحابي تيار التشدد وتمالئه وترضي شيوخه حتى بعد انتهاء حركة الأخوان السياسية. فقد أعلنت تمسكها بالمذهب الوهابي. واستمرت هذه الدعوة مدرسة فقهية وفكرية وأيديولوجية يتخرج منها شيوخ المجتمع السعودي ويتميز طلابها بالسير على نهجها وأحكامها الفقهية المتشددة. ومن أهم المبادئ التي وضعتها تلك الفلسفة التالي:

1- أن كل مسلم يوالي الكفار والمشركين واليهود والنصارى ولا ينكر عليهم شركهم ويحسن أفعالهم أو يشك في كفرهم فهو كافر ولو عرف التوحيد وعمل بشرائع الإسلام الظاهرة، ومن التشبه بالكفار والركون أمثلة مثل زيارتهم ولين الكلام معهم ومد العين إلى زهرتهم وتقريبهم في الجلوس، واستعمالهم في الوظائف والدخول عليهم والبشاشة لهم أو إظهار ولو شيء من البشاشة والطلاقة والإكرام العام أو معاونتهم ولو بأدنى شيء والتزيي بزيهم والسكنى معهم في

(14) انظر جريدة الرياض ع 13372، المرداسي.

ديارهم والميل اليسير فكيف بمجالستهم ومؤاكلتهم وإلانة الكلام معهم وتقريبهم في الجلوس.

2- يحرم السفر إلى بلاد المشركين للتجارة إلا أن يكون المسلم قوياً له منعة يقدر على إظهار دينه وتكفيرهم وعيب دينهم والطعن عليهم والبراءة منهم، وإظهار البغضاء والعداوة لهم ولا يبدأوهم بالسلام وإذا لقوهم في طريق فليضطروهم إلى أضيقه وأن يصرح لهم بأنهم كفار! وأنه عدو لهم.

3- أن الذين يستخدمون الخدم الكفار في بيوتهم ومكاتبهم، هم مثلهم كفار مرتدون ومَنْ شكّ في ردّتهم عن الإسلام فهو لا يعرف الدين ولا يشك في رائحة العلم النافع.(15)

أما الفتاوى التي انتشرت في ذلك الحين ومعظمها كان يتناول التعليم فقد نصَّت على ما يلي:

1- أن كل المعلمين الذين تستقدمهم وزارة المعارف من الدول العربية ملحدون وزنادقة (الجدير بالذكر أن هؤلاء المعلمين يستقدمون من بلاد الشام ومصر والمواد التي يقومون بتعليمها هي الجغرافيا والمواد العربية والعلوم).

2- إن هؤلاء المعلمين القادمين من الدول العربية قد جاؤوا لاقتلاع شجرة لا إله إلا الله التي جاء بها محمد بن عبد

(15) حسن المالكي، داعية وليس نبياً ،دار الرازي، 2004، ص116.

الوهاب من هذا الوطن وأن هذه الشجرة قد زالت في تلك الأمصار.

3- أن هؤلاء المعلمين هم من أفراخ الفرنجة وعباد الأولياء ومن تاركي الصلاة وغيرها من الشعائر الإسلامية.

4- أن من سافر إلى الدول المجاورة لتعليم أو تجارة أو غيرها يجب أن يهجر حتى يُظهر التوبة. وكان المواطن القادم من تلك البلاد يغمس بثيابه بعد صلاة الجمعة ليمتنع من السفر لبلاد المشركين.

5- التحريم والنهي عن العلوم غير الشرعية كالرسوم والأشغال اليدوية والرياضة والألعاب والحقوق والطبيعة والتصوير والتعليم العصري وتعليم البنات - وأن العلوم العصرية كالرسوم والأشغال والرياضة والألعاب هي من مبادئ الإلحاد.

6- أن بتعليم المرآة يحصل التبرج وتمزيق الحجاب وكشف الساق والفخذ والرأس والصدر وفتح بيوت البغاء والسينما والرقص والخلاعة.

7- أن النصيحة لكل مسلم بأن لا يُدخِل ابنته أو ابنه في هذه المدارس التي ظاهرها الرحمة وباطنها البلاء والفتنة ونهايتها السفور والفجور.

8- أن فتح مدارس البنات مصيبة عظيمة وطامة كبرى.

9- استنكروا على الرئيس العام لتعليم البنات عزمه على تعليم البنات الحساب والهندسة والجغرافيا.

10- أن المنادين بتعليم البنات هم من أفراخ الإفرنج وأنهم يحبون الشر ويبغضون الخير وأهله ويقلدون الكفرة ويتشبهون بالمجوس. وأنهم يحاولون إخراج البنات من بيوتهن ليتمكنوا من التمتع بهن بحيلة التعليم وأنه لا يرضى بهذه المدارس إلا من لا غيرة عنده ولا رجولة ولا دين والغالب على هؤلاء أنهم من دعاة الفجور.

11- أن أهل هذه البلاد شابهوا الخارج من الكفار وأفراخهم في عدة أمور محظورة (محرمة) منها الملاهي والتنزه والتلفزيون.

12- حرموا لعب الكرة للطلاب وغيرهم وأنها انتقلت إلى المسلمين من الغرب فلم تكن هذه اللعبة على عهد الخلفاء الراشدين ولا ملوك المسلمين وأنها من التشبه بأعداء الله ولا يمارسها إلا السفهاء.

13- أن التلفزيون آلة بلاء وشر داعية إلى كل رذيلة ومجون.

14- أما الغناء فقد بالغوا في تحريمه حتى حرموا سماع الدف بل وأصوات السواني وأن اصوات السواني المحال من المحرمات بلا ريب وبالغوا في تحريم الدخان حتى أبلغوه لدرجة الخمر وأنه من مسكر الخمر تماما!

15- تحريم التصوير بكافة أشكاله وأنواعه: ما له ظل وما ليس له ظل، وجعلوه أصل الشرك.

16- تحريم لباس الشرطة لأنه من التشبه (ومن تشبّه بقوم فهو منهم) فهو مشابه للباس الإفرنج المشركين.

17- تحريم القبعة.

18- تحريم لبس البنطلون.

ومن جمع بين هذه الألبسة فلا فرق بينه وبين رجال الإفرنج وأن هذه الألبسة دسيسة ممن يريدون كيد الإسلام وإقرارها من إقرار شعائر الكفر والشرك.

19- تحريم الضرب بالرجل على الأرض والتحية العسكرية وأن هذا الضرب بالأرجل تشبُّه بضرب الحمير والبغال بأرجلها إذا أحست بشيء يدب على أرجلها!.

20- تحريم التصفيق الصادر من الرجال فهو من أبشع المنكرات! وأن التصفيق من أعمال قوم لوط التي بها هلكوا، والتشبه بأعداء الله ومن تشبه بقوم فهو منهم، وأن التصفيق من خصائص النساء وقد لعن الرسول المتشبهين من الرجال بالنساء. وهو من جملة الأمور التي تدل على التخنث، وهو من الكبائر [16]

جهيمان العتيبي وتيار أخواني ثان

في 20 نوفمبر عام 1979م الموافق 1/ 1/ 1400 هـ فوجئ المجتمع السعودي وبعد نهاية أيام الحج وبدء تحرك الحجاج

(16) انظر: داعية وليس نبياً، مرجع سابق.

للعودة لديارهم بجماعة مسلحة تحتل المسجد المكي الشريف تطلق على نفسها حركة الثوار المسلمين في شبة الجزيرة العربية يتزعمها رجل يدعي أنه محمد المهدي اسمه الحقيقي هو محمد القحطاني، وهو حسب ما عرف فيما بعد الزعيم الروحي للحركة بينما الزعيم السياسي والمحرك الفاعل لها هو رجل يدعى جهيمان العتيبي ويبلغ من العمر 47 عاماً، «وأثناء احتلال الحرم المكي الشريف أخذ يبث خطبه وبرنامجه السياسي الذي دعاه لهذه الانتفاضة والذي يهدف إلى تطهير الإسلام وتحرير البلاد من زمرة الكفار الذين فتحوا البلاد للمشركين وللغرب لنشر وسائلهم، كما أنهم سمحوا بالفسق والفجور، ويقيم أمراؤهم حفلات الفسق والفجور، وسمحوا للنساء بالظهور في التلفزيون كما طالبوا بقطع البترول عن بلاد الغرب والعودة لأحكام الإسلام الخالصة.

سجلت هذه الخطب على أشرطة الكاسيت وتم توزيعها سراً وانتشرت أخبار عن أن هذه الجماعة لم تكن وحدها بل أن جماعة أخرى كانت في طريقها للحرم المدني في المدينة المنورة تم التصدي لها وأن مجموع من قُتل من ذلك الفصيل 250 شخصاً»[17].

لا أحد يعرف بالضبط منشأ مثل هذه التنظيمات السرية بحكم عامل السرية الذي يحيط بها، لكن بعض المنشورات

---

(17) فاسليف، مرجع سابق، ص 498.

المتناثرة تشير إلى أن جماعة تتمثل دعوة الأخوان ودعوة محمد بن عبد الوهاب قد تشكلت بذورها في مطلع الستينات، «تأسست (الجماعة السلفية المحتسبة) التي عرفت فيما بعد باسم «أهل الحديث» عام 1966. نشأت جماعة جهيمان من رحم الجماعة السلفية ولكنها تختلف عنها في أنها معارضة للحكم السعودي وتؤمن بفكرة المهدية على النحو الذي ظهر في دعوة جهيمان. واكتسبت الجماعة فكرة الأخوان السلفية التي قضى عليها عبد العزيز في أواخر العشرينات الميلادية ويظن البعض أن جهيمان يرى في نفسه امتداداً لأجداده الأخوان فعرف نفسه وجماعته بجماعة الأخوان ودافع عن أسلافه أيما دفاع وشنّ في الوقت نفسه هجوماً على الشيوخ المرتبطين بالنظام لأنهم يزودون العائلة الحاكمة بالفتاوى التي قتلتهم».

«فبعد تأسيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، عينت الحكومة الشيخ ابن باز أول مدير لها. حيث خضعت لإشراف الشيخ عبد العزيز بن باز الذي اختار اسمها وباركها. كان الشيخ ابن باز يشغل منصب رئيس الجامعة الإسلامية. منذ تأسيس الجامعة كانت أفكار الجماعة مزيجاً سلفياً من نهج الألباني وتعاليم ابن باز الذي خلط الفقه بالحديث، وكان نهجاً مغايراً لنظرائه من علماء الوهابية»[18].

---

(18) منصور النقيدن، مجلة الموقف.

تشكلت داخل الحرم الجامعي جماعة تتبنى رسالة إحياء دعوة محمد بن عبد الوهاب، بعد أن رأت كثرة المفاسد في البلاد. ثم بدأت هذه الجماعة تقوم بإلقاء الدروس في المساجد وتعليم الناس التوحيد بحسب رأي محمد بن عبد الوهاب. وقد تبرع أحد المريدين لهذه الجماعة ببيت ومسجد في المدينة المنورة ليكون مقراً لهذه الدعوة نظراً لما يمثله الشيخ ابن باز والجامعة الإسلامية من ثقة ومكانة بين الناس، ولكي يكون مكاناً للتجمع واللقاء.

لم ينقطع جهد هذه الجماعة. التي أطلقت على نفسها بعد ذلك الدعوة «المحتسبة»، في التوسع شيئاً فشيئاً. «وفي بداية السبعينات الميلادية تحولت إلى تجمع فاعل في مجال الوعظ والإرشاد فأنشئت لهذا النشاط البيوت والرحلات وتزايد الخطباء والوعاظ وأسست بعد ذلك ما عرف باسم بيوت الأخوان في جدة والطائف والرياض، والقصيم وغيرها. وكان من جملة نشاطاتها استضافة عابري السبيل من المسافرين وبث الدعوة بالدروس اليومية وتعليم القرآن والحديث والسنة وإقامة المحاضرات اليومية حيث يستضيف بيوت الأخوان. برز اسم أبي بكر الجزائري الذي يتردد اسمه كثيرا عند الحديث عن هذه الحركة، وهو من أبرز الأسماء التي داومت على الحضور فقد كان مسؤول الجماعة، الذي عينه الشيخ ابن باز. كما برز اسم جهيمان العتيبي في النشاطات التي كان بيت الأخوان يقيمها. كان جهيمان مسؤولاً عن نشاط الرحلات وقد تعددت نشاطات

هذه الجماعة، فاشتملت على قسم للتبليغ في القرى والأرياف وقسم للضيوف، ولم تكن مقرات الأخوان خالية طوال الأسبوع بل كانت تمتلئ بالشباب من مختلف بلدان العالم العربي (اليمن وتونس والمغرب ومصر والأردن)، وكان مجمل الحديث والنقاش يدور عن السيرة النبوية وتدارس القرآن والأمور الفقهية، ولم تتطرق للأمور السياسية والأمراض الاجتماعية المنتشرة إلا على يد متحمس شديد هو جهيمان العتيبي».

لم تنظر الدولة إلى هذه الدعوة كخطر محتمل بل وجدت فيها ما يعينها على محاربة بعض التيارات الفكرية والفلسفات الحزبية والسياسية التي كانت أفكارها منتشرة في العالم العربي في ذلك الوقت كالناصرية والبعثية والشيوعية التي تجد عند قلة من المثقفين السعوديين هوى ومخالفة للفكر السائد المعروف بمحافظته ومناهضته للتقدم، كما أن هذه الحركات الدينية المتشددة وما شابهها، بطابعها الإسلامي تجد قبولاً ودعماً لما تساهم به في تكريس الثقافة والشخصية المتدينة والمحافظة التي يرغب المجتمع السعودي أن يظهر بها كشكل من أشكال الصلاح والتقوى، والتي تدعم الاستقرار الاجتماعي، وتحافظ على منظومة التقاليد الاجتماعية السائدة حتى ولو تصادمت مع روح العصر وسياقه المتقدم.

«كان جهيمان يبذل كل ما يستطيع في رعاية نشاط الرحلات الخاصة بهذه الدعوة ونشرها وكان يحصل على دعم

من الجميع ومباركة، لم يدخل مع أي من المشايخ الكبار في أي خلاف حتى بدأ يطرح فكرة تفرعت عنها مجموعة من الأفكار السياسية وهي الحاكمية الإسلامية وبطلان حكم (العائلة السعودية) فأخذ يتحدث عن فساد العائلة الحاكمة وعدم جواز بيعتهم وتكفيرهم، ويقوم هو وجماعته بطمس الصور على العملة النقدية الورقية بالحبر الأسود، وكانت هذه الصور هي صورة الملك».

وصلت هذه الأخبار إلى الدولة التي أغضبها هذا التجاوز السياسي فبدأت في تعقّبه، إلا أن كثيراً من المشايخ الذين يتعاطفون مع هذه الحركة وأهدافها تدخلوا لتحجيم غضب الدولة عليها وإصلاح ما يمكن إصلاحه من انحراف في نهج هذه الدعوة لاسيما ما يتعلق بالحكم والحكومة، وهو أمر سياسي يجب ألا يدخل ضمن دائرة اهتمام الدعوة.

في المواجهة بين المشايخ وأفراد هذه الدعوة، طرحت الجماعة السلفية مجموعة الأفكار التي تمثل عقيدتهم السياسية والدينية والاجتماعية أهمها:

1- أن البيعة لا تجوز لآل سعود لأنهم ليسوا من قريش وأن بيعتهم تتم بالجبر والقوة.

2- أن بعض البنوك في السعودية تتعامل بالربا وإن لم يكن واضحاً ومعلناً.

3- أثيرت مسألة تشطيب الجماعة على الصور في النقود، فردّ أعضاء الجماعة الجهيمانية بأن التصوير حرام وأن المشايخ

أنفسهم يؤمنون بهذا الرأي، وبالتالي فإن الصور التي تطرح على النقود مخالفة للشرع ويجب طمسها بالحبر. واعترف لهم الشيوخ بأن كلامهم صحيح وأن الصور حرام لكن التشطيب بالحبر الأسود أمر يمس الدولة وأمنها وفيه تجريح لأشخاص أصحاب الصور، إلا أن رد أصحاب الجماعة السلفية عليهم بأن التشطيب على الصور لمصلحة المسلمين حتى لا يعبد الأشخاص ويقدسون ويوضعون بموضع الآلهة. وإذا كانت الدولة حريصة على أمنها فلتلغ الصور.

وعلى ما يبدو فإن المشايخ لم يفلحوا في ردع الجماعة التي خرجت عن سير دعوة الوعظ والإصلاح إلى الخروج السياسي، فقد ترك أساتذة ومدرِّسون وطلاب الجامعة الإسلامية إلى الصحراء يتدربون على السلاح وأخذوا بسرية يجمعون أنصاراً لهم من المدن الأخرى إلى أن ثاروا عام 1979م.

«في رسالة عُرفت باسم الأمارة والبيعة نشر جهيمان بعضاً من معتقداته المتشددة التي دعا لها سراً مشيراً كما يقول «إلى أن دعوته السرية ليست جبناً وخوفاً بل تمثلاً بدعوة محمد ﷺ الذي دعا ثلاث سنين في مكة بالسر». وتحمل هذه الرسالة معتقدات تتمثل بأن الحكام ليسوا من قبيلة قريش، وأنهم لا يقيمون الدين بل يهدمونه ويحاربون أهله.. أنهم لا يأخذون البيعة من رعيتهم بصفة اليد وثمرة القلب بل بالجبر والقهر، كما قال بتحريم الوظائف الحكومية لأنها في قبضة حاكم ظالم

كالعمل في المباحث وغيرها، كما أن جهيمان طلب من جماعته ترك العمل الحكومي وأورد في رسالته أحاديث تطالب باعتزال العمل عند الحاكم غير الشرعي».

أراد جهيمان بحركة اقتحام الحرم المكي الشريف أخذ البيعة له في أول يوم من العام الهجري الجديد. كما أعلنت الحركة بقيادة جهيمان العتيبي بشارة بظهور المهدي المنتظر وهو محمد بن عبد الله القحطاني الذي كان أخاً لزوجته، - إلا أن محمد بن عبد الله القحطاني قتل أثناء المواجهات العسكرية لإخراج المقتحمين-. بعد أسبوعين من احتلال الحرم المكي الشريف، خرجت فتوى بإجماع علماء الدين الرسميين في الدولة تجيز اقتحام الحرم المكي ومحاربة المحتلين واعتبارها فئة باغية مخربة يجوز محاربتها ولو في الحرم المكي الشريف. فقامت القوات الحكومية باقتحام المسجد بقنابل مسيلة للدموع وتم تبادل إطلاق النار مما أسفر عن مقتل بعض المقتحمين وكان من بين القتلى الزعيم الروحي للحركة (المهدي) بينما اعتُقل الزعيم السياسي جهيمان العتيبي الذي أُعدم مع رفاقه المقبوض عليهم ويقال كان عددهم 62 شخصا في 9 يناير 1980م. وكان من بين الذين أُعدموا مصريون ويمنيون وكويتيون كانوا قد انضموا للحركة.

بعد إحباط هذه الحركة عسكرياً، حاول النظام السعودي تهدئة علماء الدين وبعض التيارات الشعبية المتشددة التي تعاطفت مع دعوة جهيمان المتطرفة، فقامت بإغلاق صالونات

التجميل والنوادي الخاصة بالنساء ومنع بث الأغاني التي تغنيها النساء أمثال أم كلثوم وفيروز ونجاة الصغيرة، والتي كان التلفزيون وقتها يبثّها، ومنع خروج أي وجه نسائي في التلفزيون من المذيعات رغم احتشام مظهرهن ذلك الحين واستدعى الطلبة الدارسين من الخارج، كا أصدر تعليمات جديدة بمنع ابتعاث الفتيات للدراسة في الخارج

مرة أخرى تم القضاء على الحركة الجهيمانية السياسية بينما ظلت فلسفة التشدد تحظى بحماية ومجاملة تضمن عدم خروج ثائرين جدد يتهمون الدولة بالفساد وعدم الحرص على دعاوى الحفاظ على التعاليم الإسلامية بحسب المفهوم الوهابي المتشدد. إلا أن ذهنية التحريم كانت تعيش مخاضاً آخر سيسفر عن ولادة حركة جديدة ستخرج في مطلع التسعينات الميلادية وتؤجج دعاوى جديدة لما عُرف باسم الصحوة الإسلامية

تيار الصحوة (صحوة أخوانية جديدة)

بحدوث الانقلاب الشيوعي في كابول عام 1978م، تدخلت القوات السوفياتية بالاستدعاء؛ لدعم الانقلاب في مواجهة الفصائل الإسلامية «المجاهدون الأفغان» التي قادت العمل المسلح ضد حكومة الانقلاب والقوات السوفياتية، وقد بدأت الولايات المتحدة في مساندة مجموعات المجاهدين في إطار عملية استنزاف ضد الاتحاد السوفياتي، فقامت بتقديم الدعم السياسي والمادي، وأطلقت وسائل الإعلام الأمريكية

على المجاهدين الأفغان اسم «المقاتلين من أجل الحرية» (Afghan Freedom Fighters).

وسمحت الحكومات العربية الصديقة للولايات المتحدة والتي تخشى من المد الشيوعي لكثير من المتطوعين من مواطنيها بالسفر للاشتراك في تلك الحرب. وكانت أهم الدول التي قدمت دعماً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً للمجاهدين الأفغان هي السعودية وباكستان ومصر والكويت.

نتيجة لهذا التشجيع السياسي على المستوى الرسمي وما صاحبه من دعايات استندت إلى منطلقات دينية انتشرت فتاوى وجوب الجهاد ضد القوات السوفياتية الغازية. ونشط بعض الدعاة الذين يتمتعون بالقدرة على تجييش المشاعر الدينية مثل الدكتور عبد الله عزام الذي كان لتسجيلاته وزياراته الدعوية وكتبه التي تتحدث عن انتصارات المجاهدين الأفغان والكرامات التي تحدث لهم مثل كتاب «آيات الرحمن في جهاد الأفغان». . كان لهذا كله دور مهم في إقبال المتطوعين العرب على باكستان وأفغانستان.

كذلك برز المليونير السعودي أسامة بن لادن الذي أقام معسكرات لاستقبال المتطوعين والإنفاق على إعاشتهم وتدريبهم خاصة الشباب القادم من دول الخليج العربي، فأسهم في إنشاء مكتب الخدمات، وبيت الأنصار الذي أصبح منطلق تنظيم القاعدة بعد تعاظم تأثير جماعة الجهاد المصرية على أسامة بن لادن.

تجاوب المجتمع السعودي مع دعوة الجهاد ضد الإلحاد نظراً للتعبئة الدينية فيه، واستطاع دعاة هذا التيار السيطرة على قطاع كبير من الشباب والتلاميذ الصغار، وتحوّل المجتمع مع الوقت إلى معسكر ديني متشدد. وقد انتشرت فتاوى صارمة بشأن الجهاد مثل فتوى الشيخ عزام القائلة بأن «الناس كلهم آثمون بسبب ترك الجهاد سواء كان في فلسطين أو أفغانستان أو أية بقعة من بقاع الأرض ديست من الكفار ودنست بأرجاسهم، ولا إذن لأحد اليوم في القتال والنفير في سبيل الله، لا إذن لوالد على ولده، ولا زوج على زوجته، ولا دائن على مدينه، ولا لشيخ على تلميذه، ولا لأمير على مأموره».

«شاركت الحكومات الخليجية في دعم هذا الحماس والدعوة لهذه الحرب فقدمت الدعم المالي واللوجستي للمجاهدين الأفغان، وفتحت الباب واسعاً أمام كثير من أبنائها للسفر إلى أفغانستان للقتال كمتطوعين في صفوف «المجاهدين الأفغان»، الذي أسفر عنه تنظيم القاعدة في بيشاور بقيادة أسامة بن لادن ومعه عدد من كبار قادة الجماعات والتنظيمات «الجهادية العنفية» الخليجية ومنهم كويتيون وبحرينيون وإماراتيون وسعوديون إلى جانب يمنيين ومصريين وأردنيين وفلسطينيين وجزائريين ومغاربة ومن أقطار إسلامية غير عربية»[19].

---

(19) أنظر أحمد ثابت، دبي، الإمارات العربية (CNN)، الحركات الإسلامية السياسية في الخليج العربي بين أطياف التطرف والاعتدال.

وخلال هذه الفترة وصل عدد المجاهدين الذين التحقوا بساحات القتال في أفغانستان تدريجياً إلى ما يزيد عن أربعين ألفاً من مختلف الجنسيات.[20]

طوال حقبة الثمانينات كانت أموال الجهاد ضد الإلحاد في أفغانستان تتدفق سيلا في العالم العربي، فالمصادر أصبحت سخية والحسابات طرية والفرص مفتوحة على مصراعيها لمن يستطيع الوصول والدخول!

والجهاد الأفغاني لم يستقطب فقط المؤمنين بفكرة الجهاد والراغبين في الموت والشهادة، بل إن الأموال التي وُضعت تحت تصرف قواعد المجاهدين أغرى البعض بالتكسب من خلال الجهاد، «فهذه الأموال أغرت كثيرين تواجدوا في ميدان الأعمال أصلاً أو سعوا إليه خفافاً، باعتقاد أن هناك فرصة متاحة للغنى الفوري! »[21]

لم تحسب المملكة العربية السعودية حساب هذا الحماس المبذول للحرب الأفغانية بل وجدت فيه فرصة للتخلص من الحماس النشط الذي تحول إلى عبء يهدد سيادتها وكان الأسلم للمملكة تسهيل خروج هذه العناصر الإسلامية المتشددة إلى بعيد حيث تمارس كل ما تشاء من تشدُّد وتطهُّر وجهاد ولم

(20) محمد رشيد (كتاب طالبان) بتقارير لمنظمة مكافحة المخدرات التابعة للأمم المتحدة، ص120.
(21) محمد حسنين هيكل، (مقال).

تنتبه إلى أن القائد الأول في تنظيم الحرب عبدالله عزام كانت له أهداف أبعد من الحرب في أفغانسان فقد كان يقول: «أريد أن يأتي من كل بلد عربي ولو أربعون مجاهداً فيستشهد نصفهم، ويعود نصفهم لبلاده ليحمل دعوة الجهاد»[22].

وبمجرد ما انجلت القوات السوفياتية عن أراضي أفغانستان وانطلقت حرب طاحنة بين الأخوة الأعداء المجاهدين أخذ أفغان العرب بالعودة إلى بلدانهم. ولكن غزو نظام صدام لدولة الكويت في منتصف عام 1990 أدخل منطقة الخليج العربي في محنة سياسية، وعلى وجه الخصوص المملكة العربية السعودية التي أصبحت طرفاً رئيسيَ في الأزمة ومنطلقاً لعمليات الحلفاء بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من أجل تحرير الكويت.

وجدت تلك التنظيمات التي عادت من أفغانستان إلى السعودية متنفساً سياسياً لها في الحرب الخليجية الثانية لاسيما وأنها تعرف أن دعاتها قد نجحوا في تجييش معظم قطاعات المجتمع السعودي من الشباب والنساء والشيوخ والأطفال، من العسكريين والمدنيين ومن الطلاب والمعلمين وأساتذة الجامعة، فأخذت تتصادم مع الحكومة، وقد ظهر ذلك في موقف هذا التيار الرافض لقرار الحكومة السعودية بالسماح للجنود الأجنبية من استخدام أراضيها لتحرير الكويت، وفي

---

(22) عبد الله بن بجاد، السرورية، مركز المسبار للدراسات والنشر، ع 1، 2007، ص25.

الموقف الثاني باحتجاجهم على مظاهرة قامت بها أربعون سيدة سعودية قدن السيارات في شوارع الرياض مطالبات بحق حماية أنفسهن في ظل الحروب وامتلاك حق قيادة السيارة.

عالجت الحكومة السعودية الموقف الأول بأن أعلنت عن فتوى للشيخ ابن باز رئيس كبار هيئة العلماء وهيئة القضاء الأعلى، تجيز استخدام القوات الأجنبية على الأراضي السعودية بينما تركت المشاركات السعوديات في مظاهرة قيادة السيارات عرضة لنهب تيار التشدد وذهنية التحريم، وتواطأت الحكومة بأن وافقت على إيقاف جميع المشاركات في المظاهرة من أعمالهن، وبالصمت حيال الهجوم الشرس الذي أطلقته منابر المساجد والمنشورات والخطب المسجلة في حملة تشهير وقذف، تتهمهن وتتهم أولياء أمورهن الموافقين على فعلهن وكل من سهّل لهم هذه العلمية ومن دافع عنهن بالكفر والفجور، ولم يكن يرى كثير من أعضاء هذا التيار في هذه العقوبة سوى عقوبة مخففة.[23]

---

(23) في مؤتمر الحوار الوطني الرابع شن الدكتور محمد العريفي، المتخصص في أصول الدين، هجوماً حاداً على من وصفهن بـ«المتبرجات من المعلمات اللائي يمثلن قدوة سيئة لتلميذاتهن». وقال العريفي، في الجلسة السادسة التي عقدت صباحاً لاستكمال محور «المرأة والتعليم»، إن «أستاذات جامعيات لا يحترمن الأمانة التي يحملنها، ويتحدثن إلى طالباتهن بما لا يقرّه الشرع، ولا تقرّه النظم المعمول بها في البلاد». وتطرق العريفي، في مداخلة حملت طابع العصبية، إلى أكاديميات سعوديات كن قد تظاهرن (طالبن)، في نوفمبر عام 1990م، مطالبات =

استغل ابن لادن حالة الهيجان التي اندلعت بين صفوف الناس والحكومة، فدعا في تنظيم حركي جديد إلى جهاد ضد القوات الأمريكية والأوروبية على أرض الحرمين الشريفين، تحت شعار «إخراج المشركين من جزيرة العرب» وقد كانت هذه الحرب هي الحرب البارزة لتنظيم ابن لادن ورفاقه في السعودية والتي نجم عنها لاحقاً تفجير لمباني السفارات الأجنبية والمجمعات السكنية ومن ثم مؤسسات الأمن الحكومية، وقد اشتدّت سطوة هذا التيار وقويت هجمته بعد دخول طالبان كابول والسيطرة على حكم أفغانستان بمفردهم وإنشاء دولة أسلامية هناك. فاستقر ابن لادن ورفاقه هناك، وأصبح تنظيم القاعدة مسؤولاً عن تجنيد العرب من كافة الجنسيات والذي يُنسب إليه عدد كبير من العمليات الإرهابية المروعة المتلاحقة والتي قام بها شبّان سعوديون بدأت تظهر أسماؤهم وصورهم في الصحف ضمن قوائم المطلوبين التي لم يتم القضاء عليها حتى الآن.

ومن تيار الأخوان المسلمين الوافد خرج تيار ما عرف بالسرورية الذي أصبح فيما بعد أكبر التيارات الدينية في المشهد[24].

= بمنحهن الحق في قيادة السيارة، وحقوقاً أخرى تتصل بالمرأة. وقال إن المتظاهرات (المطالبات) حصلن على عقوبة مخففة، ونجون من عقوبة مستحقة، متأسفاً على استمرار بعضهن في أعمالهن.

(24) بن بجاد، مرجع سابق، ص 11.

هذا التيار الديني المتطرف أعلن عن نفسه في بداياته على أنه تيار صحوي إسلامي نهض لتصحيح المجتمع الذي طغت عليه مظاهر الفساد والبعد عن الإسلام الحقيقي، وقد نجح هذا التيار في السيطرة على وجدان المجتمع، وتغلغل في قلوب شبابه وأطفاله ونسائه لسببين: الأول لأنه كان يستخدم المفردات والشعارات والقصص والمفاهيم الدينية التي يتفق عليها المجتمع ولا يشك فيها أحدٌ، والسبب الثاني هو الدعم المالي واللوجستي الذي حظي به هذا التيار من قيادات مسؤولة ورجال أعمال داخل المجتمع، يطمحون لكسب التأييد الديني وكسب رضى الشخصيات الكبيرة في هذا التيار، وقد دعم هذا التيار من أصبحوا فيما بعد من رجاله ومن رموزه، بعضهم كان من المسؤولين في مؤسسات التعليم والإعلام وأجهزة الدعوة والإرشاد الديني التي فتحت مكاتبها في المدارس وفي الوزارات والمستشفيات والتي كانت تقوم بنشاط هائل ما كان من الممكن إنجازه لولا التبرعات المالية الهائلة المقدمه لهم، مما أعانهم على توفير النشرات الدينية والأشرطة السمعية والتصويرية في الشوارع العامة وقصور الأفراح وعيادات المستشفيات وحتى في المقابر. ومن نافلة القول أن هذا كله قد حدث تحت سمع ونظر الحكومة التي التزمت الصمت.!

أنشأ هذا التيار منظومة إعلامية موجهة لكل الشرائح التي يهتمون بها، (مجلات وإذاعة كانت تبثّ من طرابلس في شمال

لبنان ومحطة تلفزيون فضائية هي المجد)[25].

هذا التيار الفكري المتشدد أعلى من شأن السياسي على حساب قيم الدين العليا ولصالح السيطرة والغلبة وضد مبادئ التسامح والتعددية والديمقراطية، وتكفير المذاهب الأخرى كالشيعة والصوفية، ووصل به الحد إلى تكفير المجتمع ومؤسساته، واعتبر أن الحكومات المعاصرة حكومات كافرة ولا بد من إقامة الخلافة الإسلامية من جديد بعد سقوط الخلافة العثمانية، كما يرى أن المجتمعات العربية مجتمعات جاهلية وعلى قيادة التنظيم وأتباعه واجب مقدس يكمن في انتشال المجتمعات من هذا الانحراف ووضعها على قوارب النجاة التي يمثلها التنظيم، وقد كان التنظيم يعتمد على هدفين أساسين: الأول الدعوة إلى الله ومفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثاني الهجوم على الأفكار والممارسات والتيارات والأشخاص الذين يرونهم مخالفين لمنهج التنظيم.

كانت حكومة طالبان في أفغانستان هي النموذج المثالي للمجتمع الإسلامي في نظر أفراد ذلك التنظيم السعودي المتشدد، وهي صورة لمجتمع غارق في الأصولية يتهدد حريات الناس ويتدخل في كل صغيرة وكبيرة، في شكل ثيابهم وطول لحاهم، وفي بيوتهم، وفي حياتهم ويمارس أشد القمع تجاه النساء وصل إلى حد أن يمنع المرأة من المشي في الشارع

---

(25) بن بجاد، مرجع سابق.

دون ولي أمر، كما اعتبر كل وسيلة حديثة هي محرمة فحارب التلفزيون والمذياع، واعتبر كل وسيلة ترفيهية كفراً كاللعب بالطيارات الورقية، وتربية طيور الحمام واستخدام الطبول.[26]

محاربة كل نشاط ثقافي أو اجتماعي كانت سمة بارزة لعمل هذا التيار المنتشر داخل مؤسسات الدولة ومكاتبها الإرشادية المنتشرة في كل مكان والتي تطبق تعليماتها، وقد وصل الأمر إلى أن «قامت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في (19 اكتوبر 2006) بمنع أرباب بيع المأكولات والحلويات الشعبية عن الغناء وترديد الأهازيج الشعبية، الخاصة بفرحة العيد، وذلك في المنطقة المركزية في جدة التاريخية (البلد)».[27]

وتحت شعار سد باب الذرائع توقفت الحياة الثقافية من صحافة ومسرح وأدب وفن، فقام هذا التيار بتجنيد شبابه في حملات ملاحقة المخالفين في الصحافة والإعلام، وتعقب أصحاب الأفكار المخالفة في المدارس والجامعات والمسرح، لأن حراس الفضيلة قد انتشروا في كل مكان، وقد صدر أحد الكتب الذي يكفر أسماء مبدعين من العالم العربي ومبدعين من المجتمع السعودي وتمت إجازة هذا الكتاب وبيعه في

---

(26) انظر: (الإعلان الأول الذي صدر عن حركة طالبان بعد فتح كابول).

(27) محمود عبدالغني صباغ، موقع «الشقّاف» الإلكتروني، 19-10-2006م.

المكتبات السعودية دون أن يجرؤ أحدٌ على التصدي له [28]. كما كانت بعض رسائل الدكتوراه التي تناقشها الجامعة الإسلامية تتعرض لتكفير التيارات الفكرية التي انتشرت في العالم العربي وقد كفرت إحداها مئتَي مبدع عربي، بعضهم من السعوديين [29].

امتدت هذه الرقابة إلى المؤسسة الإعلامية، فأخذت تندد بظهور المرأة في التلفزيون كمذيعة وفي المسلسلات الدرامية. وقد أفضت هذه التشديدات إلى عدم ظهور النساء ولو محجبات على شاشة التلفزيون سوى في الفترة الصباحية، في برامج الأسرة، الموجهة لربات البيوت، وهي فترة وجود الرجال في أعمالهم. كما حجبت الأغاني والموسيقى واستبدلت كثير من البرامج موسيقاها بزقزقة العصافير وخرير المياه والأدعية الدينية. كما تصدى بعض مشايخ هذا التيار للأدباء والشعراء والمسرحيين وأصبح تعقّبهم والتشهير بهم ورميهم بالتهم مثل الخروج عن الملة وتكفيرهم من مهام التنظيم الإصلاحية، تنشرها الفتاوى التكفيرية التي توزع في المساجد وفي المدارس والأماكن العامة وحتى في الأفراح وحفلات الزواج. كما فرض هذا التيار رقابة مشددة على

---

(28) انظر كتاب: الحداثة في ميزان الإسلام، عوض القرني، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1988م.

(29) انظر: سعيد الغامدي، الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، دراسة نقدية شرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود.

المجتمع من خلال أفراده المتطوعين في العمل مع جهاز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كان يكفي لكل متحمس ينشد الأجر والمثوبة أن يكون عيناً لهم ولساناً، وفي بعض الأحيان يداً.

شكلت هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 منعطفاً في التعامل مع القاعدة تمثل بقيام تحالف دولي ضدها سمي بـ«الحرب على الارهاب»، نتج عنه غزو أفغانستان عبر تحالف دولي بقيادة الولايات المتحدة، وكان من أبرز نتائجه انهيار نظام طالبان، وإضعاف تنظيم القاعدة، حيث بدأت مرحلة جديدة من الصراع ونشاط التنظيم، وكان نصيب المملكة العربية السعودية هو الأوفر في نشاط تنظيم القاعدة، الذي كان قد زرع جنوداً له سماهم الخلايا النائمة، وجمهوراً من المتعاطفين والمنتسبين له معنوياً ومادياً. بدأت هذه الخلايا تستيقظ وتقوم بتنفيذ عمليات متفرقة قويت واشتدت بحلول عام 2003، وبدا أن القاعدة عملت على تغيير استراتيجيتها بتقديم قتال « العدو القريب » المتمثل في تكفيرها لأنظمة الحكم العربية والإسلامية وبالأخص السعودية، وتحت شعار «إخراج المشركين من جزيرة العرب» شنّ تيار القاعدة في السعودية بقيادة أسامة بن لادن، عدة هجمات نتج عنها تفجير لمجمعات سكنية تجمع خليطاً من الناس وتتكثف فيها الجنسيات الأجنبية لكنها في الوقت نفسه تضمّ أيضاً عرباً ومسلمين لكن فكر القاعدة كان يعتبر أن وجود هؤلاء لا يمنع من التفجير، وقد

تزايدت أعمال التفجير بطرق إجرامية لا تفرّق بين الناس لا من حيث دينهم ولا من حيث جنسيتهم. فكل شيء مباح.

كشفت هذه الأحداث في بدايتها عن تعاطف شعبي يصعب قياسه، لكنه تعاطف ملموس يسهل التقاط تبريراته وتعاطفه المبطن مع أصحاب هذه الحركة تحت غطاء ربط أسباب الإرهاب بالمظالم الأمريكية والبطش الإسرائيلي، في المجالس الخاصة وفي الصحف وفي منتديات الانترنيت التي تضمن حمايتها للمتسترين خلف أسماء مستعارة، كما كشفت الأحداث أيضاً عن أن جمهور ابن لادن ليس بالعدد القليل وإن تستر بعضهم بمؤازرة ابن لادن تحت حجة كرهه لأمريكا. وقد وجد بعض المتعاطفين في أسامة بن لادن صورة البطل المخلص، وبلغ من أهميته أنه في نظرهم فاق البطل المسلم القديم صلاح الدين الذي حرر القدس وانتصر في الحروب الصليبية، كما كتب أحد الشباب في منتدى عُرف بتشدده.

«وفر الانترنت وسيلة حديثة سريعة وبالغة الحماية لمن يريد أن يعبّر عن رأيه دون خوف فظهرت من بين الصحويين الجدد من رأى أن تنظيم القاعدة هو الحزب الديني الذي يفخر بالانتساب إليه مهما كانت أخطاؤه هذا إن كان يجد فيه أخطاء.» كما وجد أصحاب القاعدة في الانترنت وسيلة ساحة حرب تساند الإرهاب، وتندّد بكل رأي أو قلم أو صوت يناهض أهل الإرهاب ويرفضه.

تسبب حريق مدرسة من مدارس البنات في مكة والذي

راح ضحيته تلميذات صغيرات -- منع خروجهن عناصر هيئة الأمر بالمعروف حتى يكملن حجابهن وهن في أوج هلعهن. هذه الحادثة أشعلت فتيل أول صدام واضح للمجتمع من قبل مثقّفين وكتّاب الرأي عبر مؤسساته الصحفية ضد جهاز هيئة الأمر بالمعروف، فقد قامت بعض الأصوات الليبرالية بالمطالبة بمواجهة قوى الظلام المتشددة وتحميلها المسؤولية عن الجرائم الإنسانية التي تحدث كل يوم، وتطالب بمحاكمة المسؤولين عن الحادث. ورغم أن الحكومة لم تعلن عن إدانة صريحة إلا أن هذه الحادثة كشفت عن بعض الفساد داخل جهاز تعليم البنات، المعروف بشدة محافظته والمستقل عن جهاز تعليم الذكور، والذي استفرد بإدارته شيوخ الدين طوال نصف قرن منذ مطلع الستينات. بعد حادثة حريق مدرسة مكة، اشتعلت حرب عشواء بين المثقفين من كتّاب وصحفيين ينتمون للتيار الليبرالي في المجتمع السعودي وبين قوى التشدد والتطرف الأصولي، وقد ساهمت مأسوية الحادث في تمتع الصحافة بحرية غير معهودة، وفي حلحلة قبضة قوى التشدد وهز شعبيتهم التي كانت سائدة. وبعد أشهر من هذه الحادثة ألغي جهاز رئاسة تعليم البنات وتمّ دمجه مع جهاز تعليم الذكور في وزارة واحدة أطلق عليها «وزارة التربية والتعليم» لكنه ظل دمجاً إدراياً لم يمسّ هيكل الوزراة بالشيء الكثير.

أثار إسقاط إدارة تعليم البنات ودمجها مع وزارة تعليم الذكور في وزارة واحدة، هلع جمهور ذهنية التحريم، فقد

بلغت أوهامهم التي تؤرق نومهم، أن ذلك يعني اختلاط الفتيات مع الفتيان في صف واحد، وبعضهم رأى أن في هذا القرار خروج النساء عن سيطرة الفكر الديني المتشدد وأن ذلك ينذر بمصائب لا حد لها، فانهمرت الاحتجاجات من كل حدب وصوب وقاد جمهور ذهنية التحريم مع رموز تياره المتشدد حملة من الاحتجاجات بلغت حد أن اعتبرت أن ما يحدث من تفجيرات للمباني السكنية وقتل المدنيين إنما هو رد فعل سببه تجاوز الحكومة لنصوص المجتمع القديم وممالئة الليبراليين وزجّ المجتمع في خضم تغيير يهدد أمنه واستقراره وأخلاقه.

أدى انتشار التفجيرات في شوارع ومباني تعدت المجمعات السكنية ومؤسسات أمن الدولة، إلى إطلاق مساحة للتعبير في الإعلام تعبر عن غضبها ضد هذه القوى الإرهابية المتشددة، وإدانتها للأفعال الإجرامية التي ارتكبتها بحق الأبرياء وإدانة كل من يتعاطف معها. استغل هذه الفسحة من التعبير أصحاب الفكر العقلاني الحر في الصحف والإعلام بشكل عام وهاجموا تيار التشدد الأصولي ومن يتعاطف معه كما طالبوا بالمزيد من التغيير والتطوير الذي طالما وقف هؤلاء المتشددون ضده، مما لوح في الأفق وتحت ضغوط خارجية وداخلية بوادر تغيير وتفاعل مع هذا التغيير.

شعر بعض قيادات التيار المتشدد في السعودية بالتهديد في حظوته لدى الحكومة، فبدأ هذا التيار بمساومة الدولة على

انقسام أصحابه، وتقديم وعود بإعادة الضالين منهم وتسليم أنفسهم مقابل تنازل الدولة عما وصلت إليه بالعودة عن خطوة الدمج، وإخراس الأقلام التي تهيج العداء ضد التيار الإسلامي من وجهة نظرهم، والعفو عن العائدين منهم.[30]

«تصدى التيار الإسلامي المتشدد لكل الإصلاحات الحكومية التي فرضتها أحداث 11 سبتمبر، وأخذ يندّد بها في شكل بيانات تشجب وتستنكر وتطلب الدعم والتأييد من قطاعات المجتمع المتعاطفة مع هذا التيار. فقد شجب حركة تطوير المناهج الدينية التي تتعلق بتكفير المذاهب الإسلامية كالشيعة والصوفية ولا تعترف بأنهم مسلمون، والتي تحاول أن تحذف دعاوى قتل غير المسلمين من المدنيين الذين بينهم وبين الحكومة عهود ومواثيق خاصة»[31]

عارض هذا التنظيم التوسع في تطوير مجالات عمل المرأة ومشاركتها في المجتمع، وتم تعطيل قرار وزير العمل بالسماح للنساء ببيع الملابس النسائية الداخلية، واستمرار بيع الرجال لها بحجه أن نزول المرأة للعمل والبيع يهدد الأخلاق والمجتمع، كما وقف هذا التيار بشده ضد مشاركة المرأة كمرشح وكناخب في أول انتخابات بلدية تقوم بها السعودية، فبعد أن كانوا يرون أن الانتخابات كآلية من آليات الديمقراطية ليست من الإسلام

---

(30) سلمان عودة في برنامج حواري في قناة الجزيرة القطرية.

(31) بن بجاد، مرجع سابق.

بل من الغرب الكافر، ولا يجب الأخذ بها، إلا أنهم عادوا لتنظيم مشاركتهم فيها، وتوزيع قوائم يكفي كل مسلم رشيد أن يعتبر أن التصويت لهذا القوائم عمل مأجور.

ومثلما تصدى هذا التيار لأسماء المسؤولين عن قيادة مظاهرة النساء ثم محاربة الكتّاب والأدباء والشعراء عاد في الألفية الثالثة يؤلب الناس ضد مسؤولين في الحكومة يساهمون في تفعيل حركة الإصلاح في مؤسسات الدولة، وعلى رأس من ندد بهم وزير التعليم السابق محمد الرشيد حتى تم إبعاده، ووزير الإعلام إياد مدني، ووزير العمل غازي القصيبي بعد قراره بتشغيل النساء في محلات بيع الملابس النسائية.

تصدت نشاطات التيار الصحوي لكل نشاط ثقافي وقلما يُسمح لأي محاضرة أو أمسية ما لم تكن دينية أو موضوعاً دينياً ويحرص على تواجده في كل مشهد ثقافي لضبط تفلته أو علمانيته، فأخذ يتصدى لمعارض الكتب الدولية التي تقام في السعودية ويفرض رقابته على عناوينه ويصادر كتبه التي دخلت للمعرض بعد مراقبة وإجازة وزارة الإعلام والهيئة المنظمة للكتاب، ويراقب أنشطته وزواره، فيفصل بين النساء والرجال ويشدد الرقابة على زائرات المعرض وعلى حجابهن ولا يسمح بمخالفة لبس الحجاب كما في مفهومهم الغطاء الكامل للوجه والجسد.

ولم يكتف هذا التيار بالرقابة بل لاحق كل نشاط إبداعي يدخل ضمن المحرمات فالمسرح والموسيقى والفن بمجمله

حرام، وقد لاقت إحدى المسرحيات الجامعية التي كانت تعرض على مسرح جامعي هجوماً بالعصي والتخريب، كما حدث في كلية اليمامة عام 2006 حيث هجم جمهور من الشباب الصغار الذين تجمعوا خصيصاً لتعطيل المسرحية، على الممثلين بالعصي وكسروا المسرح منذ الدقيقة الأولى لفتح الستار. حتى صار تجنب قيام المحاضرات والمنتديات الثقافية هو الحل الأسلم لمنع العنف. وفي مناسبات عدة سيق عدد من الكتاب وأساتذة الجامعة ومعلمي المدارس، إلى محاكمات قضائية بتهم الزندقة والكفر، وصدرت أحكام بالجلد ضد بعضهم بسبب إعلانه عدم موافقته على موضوعات ومفاهيم تيار الصحوة المتشددة ولا يزال الكتّاب والفنانون يطلبون بدعاوى رسمية للمحاكم بحجج الإساءة للإسلام وأهله [32].

* * *

في ظل هذا الجو، وفي سياق مواجهة ذهنية التحريم المتأصلة عبر كل هذه المراحل، جاء مسلسل «طاش ماطاش»، بأفكاره النقدية، وفي إطار فني كوميدي يشدّ الناس، فكان تأثيره كبيراً لأن الناس ما عادوا يطيقون حياة تتعرض فيها نساؤهم وبناتهم للإهانة والحجر، ويمنع عليهم فيها حتى الضحك والفرح. وما أثارهم أكثر هي الروح النقديّة التي ميزت هذا المسلسل الذي عمل على نقد مشكلات المجتمع

(32) انظر قضية حمزة المزيني وعبد الله بن بخيت.

السعودي، ونماذجه التي جزء أساسي منها نموذج المتديّن، والذي يضم متديّناً يرجو الصلاح، ومتديّناً آخر يتمسّح بالدين لأهداف أخرى. ورغم النقد الذي وجّهته للسلطة وتصرفاتها، فإن أحداً لم يعتبر أن هذا المسلسل عدوّا يجب وقفه سوى تيار ذهنية التحريم. وذلك لأن هذا التيار يسيطر ولأسباب تاريخية عرضناها بشكل موجز لأن هذا الكتاب لا يهدف لعرض ومناقشة تاريخ سيطرة هذا التيار المتشدد على المجتمع، بل يهتم بمناقشة تأثير مسلسل تلفزيوني، وأسباب هذه المواجهة العنيفة له من قبل هذا التيار.

وسنستعرض في هذا الكتاب موقف المجتمع السعودي مما طرحه المسلسل كذلك مواقف مجمل التيارات التي تمثل المجتمع السعودي من خلال ما نقلته الصحافة من ردود أفعال الشارع والناس، ومن خلال ما كتبته أقلام الكتاب والصحفيين من تشجيع للمسلسل أو اعتراض عليه. فردود الأفعال هذه تعبّر بشكل قوي عن حال المجتمع السعودي وعن الصراع القائم بين تيار يعتبر أن النقد والفرح الموسيقى وتقدّم البشرية والانتماء إلى العالم المعاصر وفتح باب الحريّة للناس هي ما يجب أن تكون عليه صورة هذا المجتمع، وتيار يخاف النقد بهدف تثبيت سلطته وإحكام سيطرته على المجتمع باسم الدين، مع العلم بأن المجتمع السعودي بغالبيته الكبيرة هو مجتمع متديّن، محافظ، وهو بكامله مسلم ولا خلاف حول

هذا الموضوع، بل الخلاف حول حقوق الناس في هذا المجتمع وحول رفض الانغلاق وحول الحضارة والعلم والتقدّم وحق الناس في اختيار طرق حياتهم.

الفصل الثاني

طاش في عيون الصحافة

«يضحكون عليك، ثم يغارون منك، ثم يحاربونك، ثم تفوز»

غاندي

بين النجاح والترحيب وبين الحرب والتصعيد عاش مسلسل اسمه «طاش ماطاش» على مدار أربع عشرة سنة (حتى كتابة هذه السطور) حرباً اجتماعية يمكن للباحث في علم الاجتماع أن يستقي منها كيف يفكر المجتمع السعودي حيال قضاياه، وكيف يمكن لبرنامج تلفزيوني فكاهي إثارة هذا الجدل العارم بين فئاته التي صنفت على أنها أغلبية محافظة تقليدية ومتدينة رجعية، وأقلية متقدمة ليبرالية.

إن مجموع ما كُتب في الصحف المحلية اليومية، من مقالات الرأي العام، وتعليقات مطولة، كل عام، حول حلقات المسلسل بين مدح وذم، وردود الفعل حولها في المجتمع السعودي، شكلت مادة هامة يمكن أن يستعين بها الباحث كبديل عن غياب مراكز دراسة الرأي العام في السعودية.

فردود الأفعال الحادة والعنيفة تجاه «طاش ما طاش» وما فاض حولها من جعبة المادحين والمعترضين على ما جاء في المسلسل، ظاهرة لفتت نظر الدارس والباحث والمتأمل في سوسيولوجية المجتمع السعودي، قدمت مادة أكثر ثراء مما هو جاهز ومعد فوق طاولات البحث المتيسرة، كما لفتت هذه الظاهرة اهتمام الدارسين والمهتمين بقراءة المجتمع السعودي، وهذا ما سنحاول عرضه في هذا الفصل حيث سنعرض قصة موجزة لمسيرة «طاش ماطاش» من خلال الصورة التي قدمتها الصحافة خلال الأربع عشرة سنة الماضية.

ظهر مسلسل «طاش ماطاش» في سنته الأولى في القناة السعودية يحمل عنواناً للعبة شعبية قديمة كان الصغار في الحارات الشعبية السعودية يلعبونها، حيث يتراهن الصبية على قارورة البيبسي بدق زجاجها الخارجي بمفتاح قوارير البيبسي، ويكون الرهان هل ستطيش رغوة البيبسي من فوهة القارورة أم لا؟

يقوم بالتمثيل فيه ممثلان سعوديان للأدوار الرئيسية اشتهرا بالأعمال الكوميدية إضافة إلى بعض التجارب المسرحية، ومجموعة من الممثلين السعوديين. وقام بالإخراج المخرج السعودي عامر الحمود، الذي انفصل عنهم في الجزء الثالث. وتقوم فكرة المسلسل على تقديم مجموعة من القضايا والإشكالات الاجتماعية بشكل درامي كوميدي ساخر.

استقبل الناس مسلسل «طاش ماطاش» في السنوات الأولى

من بثه، وكذلك الصحافة، بموجة من الترحيب والتفاعل والتسامح مع أخطائه الفنية الصغيرة التي تصاحب أي عمل درامي مبتدئ. ظهر ذلك واضحاً في أخبار مثل: «الأطفال في طريقهم للمدرسة يرددون مفردات طاش ماطاش»، و«المشاركون في المنتديات الالكترونية يتخذون من أسماء شخصيات طاش ماطاش أسماء حركية لهم مثل (الشيخ فؤاد، وأسعد عمر قلي، طرطشلي الخ).»[1]

«طاش ماطاش جاء في البداية مثل طقوس التلفزيون الرمضانية التي اعتاد عليها المجتمع السعودي، مثل «حديجان» والبرنامج الديني الشهير «مع الطنطاوي» و«فوازير رمضان»[2].

أصبح «مسلسل طاش ماطاش مسلسلاً ممتعاً ومفيداً حتى على مستوى الخليج والبلاد العربية»[3]

لقد جاء هذا التفاعل الكبير مع المسلسل بسبب جرأة العمل واشتغاله بالقضايا الاجتماعية الجادة التي تهم المواطن والإنسان السعودي، كما عبّر عن معاناة المواطن ومراراته المتكررة التي يواجهها في مراجعاته للدوائر الحكومية، والبيروقراطية، والتسيب والفساد. حيث قام بتعرية هذه القضايا والضحك عليها وإدانتها أحياناً. فبطلا طاش ماطاش «لا شيء يفلت من نظرتهما الثاقبة: التزمت الديني، التمييز في حق

(1) جريدة الوطن السعودية، 17-10-2005م.
(2) هدى الصالح، جريدة الشرق الأوسط، 9-10-2005م.
(3) عبدالإله المحمود، جريدة اليوم، 19-1-1427هـ.

النساء، التعصب الثقافي والرياضي، بيروقراطية إدارة الدولة، أخطاء الشرطة وبقايا العقلية القبلية... يصار فقط إلى الالتفاف بعناية على المسائل المتعلقة بالعائلة المالكة وسياستها الخارجية. لكن البرجوازيين المرائين والذكوريين المعقدين والشبان المتأمركين وحتى رجال الدين أنفسهم هم من أهداف انتقادات السدحان والقصبي»[4].

«المسلسل لا يقدم كوميديا سعودية ولا مزاج النكتة العام في الخليج فقط، إنما يقدم ما هو أبعد من ذلك، فقد دأب منذ سنوات على تقديم صورة نقدية لمشكلات المجتمع السعودي الصغيرة والكبيرة»[5].

تصدى المسلسل لقضايا يعاني منها المواطنين في أهم القطاعات الحكومية، على سبيل المثال ما كان يحدث في جهاز رئاسة تعليم البنات سابقاً، مثل قضية نقل المعلمات السعوديات إلى العمل في مدارس خارج المدن الكبيرة بسبب ضيق فرص العمل داخل المدن، والعمل في مدارس تبعد عن الحواضر بمئات الكيلومترات في ظل عدم توفر شروط جيدة وآمنة مثل وسائل النقل العامة، مضافاً إليها منع المرأة السعودية من قيادة السيارة. فعمل النساء خارج المنزل وليس خارج المدن، في ثقافة شديدة المحافظة لم تتقبل تعليم النساء إلا بعد

(4) باسكال مينوريه، الحوار المتمدن، العدد: 951، 9-9-2004م.

(5) محمد منصور، القدس العربي، 6-11-2006م.

معارك أسفرت عن قبول تعليم وعمل المرأة بشروط، كانت ظاهرة استدعت الكثير من النقاش. ليعود ويواجه هذا المجتمع المحافظ في نهاية القرن العشرين قضية عمل المعلمات في مدارس تبعد عن مساكنهن ساعات طويلة، يقود سيارتهن سائق غريب وفي طريق سفر طويل، مما أدى لانتشار المحسوبيات، والفساد والرشاوى داخل هذا الجهاز الذي يتحكم بنصف الوظائف النسائية.

وقد أطيح بهذا الجهاز لاحقاً، وضُمّ إلى وزارة المعارف في حدث من أهم أحداث الإصلاح التي لم يعهدها المجتمع السعودي الذي لا يحبذ التغيير مهما كان الواقع سيئاً!

هذه الحلقة صورت المجتمع السعودي الذي وجد نفسه مقسماً بين حاجة المجتمع وحاجة المرأة للعمل، وبين ظروف تتصادم مع ذهنية المجتمع المحافظة والتقليدية.

هذه القضايا قبل حلقات طاش ما طاش، كانت أحاديث يتناقلها الناس بينهم كهموم اجتماعية مريرة، شاعت في المجالس السعودية، وتفادى البعض مناقشتها، وفضّل البعض التستر عليها. وبعد عرضها شعر الناس ولأول مرة أن مسلسل محلي مثل طاش ما طاش أصبح لسان حالهم ومنبراً لخطابهم الشاكي.

بعد أن كان مفهوم الإعلام يقوم بدور مكمل للسلطة وأجهزتها المختلفة، لسانه يلهج بالمديح لتبنّي مسلسل طاش

التصدي لموضوعات تكشف الواقع السعودي وتتعرّض له بالنقد، كسوق الأسهم وألعابه الفضائحية، وقضايا الواسطة والمحسوبية واستئثار النخب والنافذين ومن جاورهم بالفرص الوظيفية والتعليمية وهدر الثروة، فيما يعاني المواطن وحده من انحسار آثار الرفاهية النفطية بسبب التراجع الاقتصادي. وقد تعرّض المسلسل لإدارات لم يتجرأ الإعلام من قبل على نقدها مثل المؤسسات الأمنية بقطاعاته المختلفة وذات الارتباط الشديد بمصالح الناس، كالمرور والشرطة والدفاع لمدني والجوازات وأمن الحدود وتهريب المخدرات. بل تعرّض لخوف المواطن البسيط ولو كان بريئاً من مؤسسات المراقبة والسلطة.

مفهوم النقد

كان يُنظر إلى دور الإعلام على أنه مكمل لدور السلطة وأجهزتها المختلفة، فهو مطالب بالتغطية والمديح لكنه إذا استقصى وبحث وانتقد يصبح من المغضوب عليهم. ومعظم قوانين النشر والمطبوعات في العالم العربي جاءت مجحفة في حق المؤسسة الإعلامية مما أفرز ثقافة الرقابة، والرقابة الذاتية، ومن ثم قتل صحافة الاستقصاء والبحث عن الحقيقة وقتل روح المسؤولية والالتزام والنزاهة والموضوعية عند الصحافي.[6]

(6) محمد قيراط، جريدة البيان، 1-6-2007م.

أثار مسلسل طاش جدلاً حول مفاهيم مختلفة أمام الرأي العام السعودي، ساد الصمت حولها، مثل دور الفن والدراما في المجتمع وضرورة النقد والتصدي للرقابة، والسماح بالتعبير عن الرأي، في وقت كان مفهوم النقد يقتصر دوره على الصحافة المكتوبة التي كان كتّاب الرأي فيها والصحافيون يخضعون لرقابة صارمة لإعلام حكومي يهتم بتقديم الصورة المثالية للدولة والمجتمع، وكانت الكتابة الصحفية رغم محدودية انتشارها في نطاق القراء من المتعلمين والمثقفين تراوح بين النقد المتحفظ والنقد المهادن والنقد المتسول، ولم تكن الدراما حسب المفهوم السعودي تُعنى بنقد الظواهر الاجتماعية بل بسرد القصص والروايات والحواديت ضمن صورة تقليدية تراعي محاذير المجتمع، وتبتعد عن سخطه، مثل تحاشي ظهور النساء، وعند ضرورة ظهور المرأة كزوجة أو أم فإنها تظهر محجبة وهامشية. كان النقد يمثل تهديداً وفضحا يستدعي العقاب أو التحقيق، وكان الحديث عن التغيير يستدعي دائماً جملة شهيرة واسعة وفضفاضة مثل حسب القيود الشرعية ومراعاة التقاليد والخصوصية السعودية، تماماً مثل تلك الجملة الساخرة: نحن مع التغيير بشرط أن لا يتغير شيء!

كان مفهوم النقد بمعنى المعالجة والمراجعة والتقويم غائباً، فيتم التأكيد دائماً على صورة المواطن السعودي المتدين المثالي، والحكومة المثالية، والشارع المثالي، والمدرسة المثالية، أما الحديث عن الأخطاء أو عن سُبل إصلاحها فكان

يتمّ بصوت أقرب للهمس، وفي أحيان كثيرة بإنكار وجودها. «يحظى مسلسل طاش بإقبال من جميع الفئات العمرية إلا أن معالجته للأخطاء يجب أن تكون بين السطور»[7].

واجه المشاهد السعودي، الذي عاش طوال السنوات الماضية داخل ثقافة القناعة والقبول بدعوى شهيرة تقول «الله لا يغير علينا» كان الناس يرددونها في زمن الآباء والأمهات ثم في عهد الطفرة النفطية، واجه عملاً درامياً تلفزيونياً ساخراً، يضحك من قناعته، ويحرك الرأي العام بأسئلته النقدية، وما ينتج عنها، من رفض لهذا الحال، والرغبة في تغييره.

وفي سياق كوميدي، «طاش ماطاش أيقظ الناس على النقد الفكاهي من صميم المجتمع ووحي البسطاء، عندما تهافت عليه الكبار والصغار المسؤول والمواطن أي اجتمعت عليه الأسرة السعودية بكافة مستوياتها الفكرية»[8]. واجه الناس حقيقة أنهم مثل كل المواطنين على وجه الأرض في المدن والحواضر، وفي مجتمع مثل معظم المجتمعات العربية يعاني من فساد المؤسسات وتكلسها وبيروقراطيتها وضياع حقوقه في دهاليزها. «يطرح طاش ما طاش رؤى صريحة مباشرة، تعتمد الكشف الاجتماعي وإظهار حقائق لا تعبأ كثيراً بدعاوى الخصوصية السعودية وملائكية وطهارة المجتمع، كما أنها ذات

(7) أحمد الشبيلي، جريدة الرياض، 11 رمضان 1427هـ.

(8) نورة مسلم، جريدة الجزيرة، 11 رمضان 1424هـ.

توجهات نقدية وتغييرية ترى في الواقع خللاً بارزاً يجب العمل على إصلاحه»[9].

ما أثار المواطن هو أن همومه الشخصية، ومعاناته مع موظفي الوزارات الحكومية الهامة، كالصحة والتعليم والإسكان والاتصالات لم تعد هموماً شخصية بل قضية تطرح أمام الرأي العام، ويؤججها التعليق حولها في المجالس الخاصة، والصحف، وتطالب بتجريم الأخطاء ومحاسبة المسؤولين عنها!! لأول مرة يواجه المشاهد السعودي عملاً يتبنى نظرة محلية فاحصة، وجريئة، مغرقة في السخرية تلاحق المسؤول وتفتش عن أخطائه. بل فوجئ المشاهد بأن جرأة التعرض لقضاياه، لم تكتف بمحاسبة المسؤول الصغير من مدراء إدارة، بل تجاوزتها لتصل لنقد القضاء والمحاكم وهيئة الأمر بالمعروف وهيئة سوق المال، وإن احتفظت بهامش من المدارة لتضمن فرارها من مقص الرقيب، إلى أن انتقل إلى محطة ال mbc في عامه الثالث عشر لينطلق بعد ذلك في فضاء أكثر تحرراً وجرأة ومواجهة.!

أثار المسلسل حقيقة هامة - في المجتمع السعودي الذي عرف بأن الإعلام المقروء لا يحظى بفرصة التفاعل العريض مع الناس بسبب محدودية حرية التعبير فيه وقيودها الصارمة،

---

(9) عبدالله المطيري، جريدة الوطن السعودية، 2-9-1426هـ الموافق 5-10-2005م

ويعرف أيضا أن تأثير الإعلام المقروء لا يتجاوز عدد قرّائه المحدود-، مفادها أن الدراما يمكنها أن تلعب دوراً هاماً في عملية نقد وتطوير المجتمع والدفع بعجلة الإصلاح، معتمداً على مساحة واسعة من المشاهدة التلفزيونية. «طاش أسس ثقافة نقدية اجتماعية»[10] «بفعل الدور النقدي الجريء وبفعل فوزه بشعبية غير مسبوقة في الدراما، في بيئة تعتبر أن النقد فضيحة، وأن فتح باب الحوار في قضاياها الإدارية والمجتمعية والسياسية هو نوع من تعريض النفس لخطر المعاقبة أو التبكيت!»[11]. اعتبر الدور النقدي الذي يقدمه المسلسل بداية لدخول مرحلة إعلامية سعودية جديدة.

«إن النقد الذي يقوم به مسلسل طاش ما طاش يعتبر عملاً ريادياً جرئياً ليس فقط على مستوى الدراما السعودية بل وعلى مستوى الإعلام المحلي».[12] كما «ساهم المسلسل في رفع سقف حرية النقد لمؤسسات الدولة وكذلك توجيه النقد للمواطن والذي يقع بسذاجة في بعض المواقف».[13]

ودفع ببعض الاقلام الصحفية والأعمال الدرامية أن تحاكيه في جرأته ليتفاعل هذا المسلسل مع أحداث تاريخية ووطنية،

---

(10) محمد آل فهده، الوطن، 29-9-1427هـ.

(11) عبدالله المطيري، جريدة الوطن السعودية، 2-9-1426هـ الموافق 5-10-2005م

(12) انظر مقال الباحث الفرنسي باسكال مينوريه Pascal MENORET، اللوموند الفرنسية، 2003

(13) سعيد معتوق، جريدة عكاظ، 11-9-1424ه..

«فهما (بطلا المسلسل) يفتحان لنا باباً واسعاً للحوار الصادق بالتالي معالجة العيوب، كما أندهش من جرأة شبابنا في نقد المجتمع وتحليله»[14].

واستطاع المسلسل، من خلال الجدل الذي أثير حوله ومن خلال أقلام كتّاب مثقّفين وليبراليين، أن ينشر ثقافة إعلامية تنويرية أثارت نقاشاً واسعاً وتصحيحاً لمفاهيم لم يعرفها المشاهد السعودي بسبب جدة تجربته مع الدراما السعودية، ودور الرقابة.

«هذا الهامش الذي أحسن طاش في استغلاله يشير إلى أهمية حرية الفن واستقلاليته في تقديم رؤية والقيام بدوره المنتظر في الإفصاح عن المشاكل الاجتماعية ونقد الدولة المتفاعلة مع طبيعة المجتمع ووضع الكل تحت مشرط النقد وكسر وهم التقديس الذي يحاول البعض اكتسابه من خلال الهجمة على منتقديه، ومنع الآخرين من حق الانتقاد وكأن هذه إشارة إلى عصمة معينة تتمتع بها هذه المؤسسة أو تلك الجهة»[15].

«الكثير من منتقدي طاش يحاكم على أساس أن ما يحدث في المشاهد من وقائع هي حقيقة وليست مشاهد تمثيلية، فكما أنه ليس من المعقول محاكمة الممثل الذي قام بجريمة قتل في

---

(14) خالد العيا، الأقتصادية، 14 رمضان 1424هـ.

(15) فهد الأسطاء، الشر ق الأوسط، 20-10-2006م.

المشهد، فإنه وبنفس المنطلق لا يمكن محاكمته للقيام بأي دور تحكمه ظروف المشهد كما قدم أحد الممثلين دور (رقية) وغيرها من الشخصيات»[16].

«تصطدم حرية التعبير بعوائق لا حصر لها، فعلى صعيد الدراما نرى أن بعض الأعمال التي لا زالت تعاني من هذا الأمر وأبرزها طاش ماطاش الذي نقرأ ونسمع أن بعض حلقاته مجاز عرضها وحينما يجيء الموعد نفاجأ بأن مقص الرقيب قد طالها»[17].

«إن الجدل حول شرعية طاش مضيعة للوقت وقد فعلت الوزارة خيراً بعدم الاستجابة لمطالب بعض العلماء بإيقاف هذا المسلسل لكثرة الإشكالات المثارة حوله على حد تعبيرهم»[18].

«الناس في حاجة إلى من يخفف عنهم شدة الحياة وعنائها ويرطب أجواء حياتهم ببسمة صافية لا يكدرها شعور بالإثم»[19].

«السمة الغالبة على المواقف المجتمعية تجاه الأعمال الدرامية المحلية هي التشنج والرفض القاطع لما نقدم لبعض الأعمال من نقد، مع أن هذا النقد قد يُعدّ في نظر الفئات

---

(16) عبد الله المطيري، الوطن، مرجع سابق

(17) حسين الطويل، جريدة الرياض، 2 رمضان 1424هـ.

(18) ناهد باشطح، الرياض، 8 شوال 1427هـ/ 30-11-2006م.

(19) محمد العوا، الشرق الأوسط، 1-12-2003م.

الأخرى من الجماهير نقداً موضوعياً أو على الأقل يتناسب مع مقتضيات الحِرَفية الدرامية، والنقد الذي صدر بحق طاش ماطاش مبرره أن هناك أفراداً فوق النقد وهو شعور غير حقيقي فيه من العواطف الشيء الكثير، إذ لا يحق لمن يعمل في الوظيفة الحكومية العمومية أن يكون فوق النقد مهما كانت سمة هذه الوظيفة أمنية أو خدمية أم دينية فالنقد ليس موجّهاً للوظيفة بل لتطبيقاتها التي تتم من خلال أفراد»[20].

واجهت المرأة السعودية في حلقات المسلسل أسئلة حول ظلم العادات والتقاليد التي سادت، محكومة بقوة العرف وقبضة الذكور وسيادة مصالحهم، أسئلة من نوع هل هذا الواقع الناقص الذي تعيشه المرأة في السعودية له علاقة بالدين أم أنها سلطة الذكور وسيادة مصالح القوى السياسية المحلية؟

شعبية المسلسل

اكتسب المسلسل شعبية كبيرة على مدى سنوات عرضه. ساهم في هذه الشعبية كونه عملاً تلفزيونياً، فالتلفزيون يحظى بمشاهدة تفوق الوسائل الأخرى ويهتم بمشاهدته قطاع كبير من مختلف فئات الناس، ليس بالضرورة أن يكون المشاهد مثقفاً، أو قارئاً. وقد بلغت نسبة مشاهدة مسلسل طاش، مساحة عريضة تؤكد نجاحه. فالمسلسل حسب ما تناقلته الأخبار،

---

(20) فهد العسكر، الرياض، 28-10-2006م/ 6-10-1427هـ.

يحرص كثير من الناس على مشاهدته بدءاً من أعلى مسؤول في الدولة وانتهاء بالمقيمين من الجاليات والعمالة البسيطة من الهند والفلبين الذين يضطرون في غياب الفضائيات آنذاك، -لم تكن هناك سوى قناتين هي العربية والإنجليزية - إلى مشاهدة التلفزيون السعودي ليتعرفوا على المسلسل الذي وجدوا في بعض حلقاته شخصيات فكاهية تشبههم كسائق الليموزين الهندي وسائق المنزل والعامل والوافد السوداني والمصري، وقد كانت بعض الحلقات تظهر هؤلاء كشخصيات محورية للعمل.

«ليس الأطفال أو النساء أو الشيوخ بل جميع الأعمار والطبقات والثقافات والجنسيات والألوان يشاهد طاش ما طاش بعض الأخوة من الجنسيات كالفلبين والهند والباكستان وغيرهم يحرصون على مشاهدة هذا البرنامج السعودي الذي حمل على عاتقه مهمة معالجة بعض المشاكل والصعوبات والعقبات التي تعترض المواطن والمقيم على السواء رغم أن هؤلاء لا يعرفون لغة البرنامج ولكن كما يقال إن لغة التلفاز لا تحتاج إلى ترجمة» [21] بل «إن هناك من يضرب المواعيد بزمن انتهاء عرض طاش ماطاش» [22].

حاول بعض الإعلاميين في غياب مراكز الإحصاء والرصد

---

(21) محسن آل حسان، جريدة اليوم 18-9-1425هـ.

(22) ناصر الحجيلان، الوطن، 11-9-1427هـ/ 3-10-2006م.

قياس شعبية مسلسل طاش، فقام البعض بإحصاءات بسيطة طبقت بعضها على فصل دراسي، وبعض الصحف فتحت موقعاً الكترونياً لرصد إجابات القراء على تواضعها، نقل أحد الكتّاب في مقال له «إن مدرّساً في مدرسة بمدينة القصيم قام بإحصائية بين طلبته في المدرسة فوجد أن 70% من الطلاب يتابعون المسلسل و30 % يشاهدونه ولا يعجبهم، أما عدد الذين لا يشاهدونه فصفر»[23].

طرحت عكاظ على موقعها الإلكتروني استبياناً فنياً عن المسلسلات والبرامج الرمضانية بعنوان «هل تتابع مسلسلات برامج رمضان على الفضائيات» شارك فيه 440 شخصاً. ورداً على سؤال: ما هو أول مسلسل تضعه في المرتبة الأولى؟ جاءت النتائج كالتالي:

طاش ماطاش40%، الحور العين 30%، أخواني وأخواتي 20%، مسلسلات أخرى 10%[24].

«وقال لي الشباب أنهم أصبحوا مدمنين على مشاهدة برنامج طاش لأنه يمنحهم الأمل والتفاؤل وخاصة أنه يُقدَّم من خلال التلفزيون السعودي وهو القناة الرسمية» [25].

انتشرت بين الناس نكته مفادها (والله لأشتكيكم لطاش ما طاش)!! وزادت من ثقة المشاهد السعودي بقوته وكونه لسان

---

(23) عبد الله الكعيد، جريدة الرياض 27-10-2005م.

(24) جريدة عكاظ، 19 رمضان 1426هـ/ 22-10-2005م.

(25) خالد المعيا، الاقتصادية، 14 رمضان 1424هـ.

حالهم ومعبّراً عنه، مثلت بداية لدخول مرحلة إعلامية سعودية جديدة!

اجتمع الناس في رمضان على سؤال: هل شاهدت طاش ماطاش اليوم؟! وحين تتجلى قصصهم بمرارتها في حديث ضاحك، يتساءلون: ألا تصلح هذه القصة لمسلسل طاش؟!

ينتقل هذا التعليق إلى ساحة الرأي والكاريكاتير في الصحف اليومية وفي أعمدة الرأي وصفحات القراء، تستشهد في كتابتها بما جاء في طاش ما طاش لتدلل على وجود الأخطاء، وتطالب باتخاذ خطوة متقدمة تتجاوز النقد للتصحيح. بدأ المسؤولون يحسبون حساب ما يمكن أن يقال عنهم في حلقات طاش ماطاش من التشهير والتقصير حتى أن وزيراً نقل إليه أن سيارة إنتاج «طاش ماطاش» قد مرت قرب إحدى مؤسساته فأخذ يلاحق وزير الإعلام مطالباً إياه بمعرفة فحوى هذه الحلقة.

ساهمت، دون شك، طبيعة المسلسل الكوميدية في وصول العمل بسرعة للناس. المسحة الكوميدية المضحكة والساخرة والكاريكاتيرية جعلت من مسلسل مثل طاش ماطاش ساحة للتفاعل مع قضاياه، فرغم طابعة الكوميدي لم تكن النكتة ومواصفات الشخصيّة (الكاراكتير) موضوع طاش ماطاش الرئيس، بقدر ما تتحول القضية المجتمعية لتصبح موضوعاً رئيسياً ومحورياً بمفارقاتها وتناقضاتها وأحداثها، ونكته تثير التعجب والضحك.

«استطاع المسلسل السعودي الكوميدي «طاش ما طاش» في السنوات الأخيرة أن يحقق قفزة نحو الأمام بتطرقه لموضوعات اجتماعية مختلفة، يعرضها علينا بصورة مكبرة لكي نرى العيب فيها بشكل واضح. ولا يخلو الهدف الفكاهي من السخرية المعلنة أو المبطّنة التي تضع أيدينا على مكمن الجرح في حالات كثيرة. ويعد النقد الاجتماعي من الأمور الإيجابية وذلك بأن نقف بين كل فترة وأخرى وننظر إلى أنفسنا من بعيد ونرى ما اعتراها من تناقضات أو سلبيات في محاولة لمراجعة الذات وتحسين الأداء»[26].

«الإقبال على هذا المسلسل لا يأتي من فراغ بل هو دليل على أن هناك علاقة بين الناس وهذا المسلسل، يفسرالأمر بكوميدية طاقم العمل وأسلوبهم الساخر، ولكن لو توقف الأمر عند هذا الحدّ لملّ الناس من تكراره أو لاحتل مكانه عملٌ أكثر كوميدية لكن العلاقة بينه وبين الناس تبدو أعمق وأشد قوة»[27]. كما أنه لا بد من القول إن غياب المنافسة الدرامية السعودية خاصة في السنوات الأولى من بث المسلسل جعلت من طاش ما طاش طبقاً رمضانياً مميزاً ينشده الناس وينتظرونه كل عام ويحرصون عليه. تظهر آثاره في أحاديث المراهقين ونكاتهم وتقليدهم لكاراكتيراته، ويحفظ الأطفال

---

(26) مها الحجيلان، الوطن السعودية، 15 يوليو 2003م.

(27) عبد الله المطيري، جريدة الوطن، 2 رمضان 1426هـ/ 5-11-2005م.

مقدمته الغنائية ويتبادل الناس في مجالسهم الرمضانية حكاياته المسلية ونقده الفاضح.

أبرزت الصحف مستوى تفاعل الناس مع المسلسل، «الناس تعلق أمالها على مسلسل طاش ماطاش، وتلح عليه بأن يعبّر عن هذه القضية أو تلك، فالشباب يطالبونهم بأن يعرضوا لهم حلقة عن مشكلاتهم في انعدام فرص القبول في الجامعات، وتدني الفرص الوظيفية وانتشار البطالة وقلة فرص العمل»[28]. و«المزارعون في السعودية يلجأون لفريق طاش ما طاش لوضع حد لمعانتهم مع سوسة النخيل وزيادة عمليات التهريب»[29].

أحد المواطنين يلجأ لفريق طاش ما طاش لعرض مشكلة منزله الذي دفع ثمنه ولم يستطع السكن فيه ثم بلغ من شدة تعاطف الناس مع هذا المسلسل أن «أحد المواطنين وبسبب تأثره بحلقة عن الإرهاب تبرع براتب شهر لصالح دعم طاش ما طاش.. وقال المواطن عبد الله بن عبد الرحمن بن شايق إن تبرعي هذا نابع من حسّي الوطني وتفاعل إنساني مع أحداث الحلقة التي أبدع فيها القصبي وجسّد فيها إرهابية الاعتداء على الأبرياء.. وتقديراً للجهد الذي بُذِلَ في حلقة مكافحة الجريمة من قبل الفئة الضالة..».

---

(28) جريدة الرياض، ثقافة اليوم، 9-29-2004م.

(29) الأحد، 21 شوال 1427 هـ/ 12 نوفمبر 2006 م.

الاتصالات بفريق طاش ما طاش سواء المباشرة من الناس أو مما تعرضه الصحف تناشد الفريق بتبنّي مشكلاتهم الخاصة تمثل في النهاية منظومة عامة يعاني منها كثير من الناس.

وفي أعقاب صدور تقرير 2006 عن الأحياء الفقيرة في البلاد «دعا مسؤول رفيع في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بالعاصمة السعودية، القائمين على المسلسل الكوميدي الشهير «طاش ما طاش»، إلى تخصيص حصة من البرنامج في نسخته الخامسة عشرة للعام المقبل لتسليط الضوء على قضايا التنمية البشرية، وتوعية الشارع السعودي بمثل هذه القضايا، وبالأخص قضية المحافظة على المياه»[30].

المشاهد بطلاً

ومع تقادم عمر المسلسل واشتغاله على قضايا المواطنين، صار هذا المسلسل أشبه ما يكون بدار للمظالم الوطنية، وعرضها لا بد وأن يحرك الساكن، فالناس ينظرون إلى هذا المسلسل باعتباره قادراً على التعبير عن قضاياهم المعقدة، ليس بسبب جودته فقط، وإنما أيضاً بسبب توافره على شروط الإمتاع والتسلية الخفيفة. وليس بسبب إيمانهم بصدق ما يطرحه بل ربما بسبب ما لمسوه من أن هذا المسلسل بدأ

(30) الشرق الأوسط، 18-9-1426هـ.

يكتسب سلطة تخوّلهم عبره محاسبة المسؤولين عن أخطائهم، وأخذوا يمازحون فريق طاش كلما لمحوا واحداً منهم بجملة: «هاه بس لا يجينا شي»، أو يتلفتون حولهم سائلين إياهم: «معكم كاميرا؟!»

القضايا التي لا يصل إليها فريق طاش ماطاش ولا ينجحون في الوصول إليها، تصلهم عبر الرسائل والاتصالات الهاتفية، والزيارات الشخصية التي يقوم بها بعض المواطنين لمؤسسة الهدف التي تضم طاقم طاش ماطاش لإيصال شكواهم، أملاً بعرضها في حلقة لتصل إلى المسؤول وتدفعه إلى التدخل لحلها.

استثمر فريق طاش ما طاش هذا الحماس والتفاعل، فقام بتطوير هذه المناشدات والرسائل والاتصالات وتحويلها إلى مشروع يهدف إلى إشراك المشاهدين في كتابة بعض أفكار حلقات المسلسل وإرسالها لهم، يتم بعد ذلك تنقيحها وتطويرها، فأعلن فريق طاش ما طاش في الجزء السادس، عن إقامة مسابقة لرسائل القراء وأفكارهم، يتم خلالها اختيار أفضل ثلاث أفكار من بين مجموع ما أرسل. ورصد لهذه المسابقة مبلغ خمسين ألف ريال أي ما يعادل ثلاثة عشر ألف دولار أمريكي تتوزع على ثلاث مراكز أولى وثانية وثالثة، وتتدرج جائزتها من خمسة وعشرين ألف ريال ثم خمسة عشر ألفاً فعشرة آلاف. في السنة الأولى للمسابقة وصلت آلاف المشاركات التي أخذت تتزايد كل عام.. «الأفكار التي تصلنا

سنوياً تزيد عن 20 ألف فكرة ونحن نأخذ الأفضل منها»[31]

وفي سنوات لاحقة من عمر المسلسل، أصبح المشاهد كاتباً يلمع اسمه في إحدى حلقات طاش ماطاش. «الملاحظ أن من يكتب حلقات هذا البرنامج هم الناس أو هم من الناس، إذاً الشعب يكتب والشعب يشاهد»[32].

تحويل معاناة الناس وشكواهم إلى مشروع كتابة، إذ يساهم الناس في كتابة طاش ماطاش، كانت فرصة لبطلي المسلسل ليتخلصا من نقد بعض الصحف لهما باحتكارهما الكامل للمسلسل كتابة وتمثيلاً وإنتاجاً، وكانا قبلها قد اتجها لإشراك بعض الكتاب المعروفين بقلمهم الساخر والجريء بكتابة بعض حلقاته. «هذا العام لم نكتب أنا وعبدالله أي حلقة وكان دورنا تنقيح وتعديل وإضافة الأفكار والتفاصيل الدقيقة وهذا بفضل الكتّاب الذين عملوا معنا في الورشة»[33].

تجاوزت التعليقات والآراء الصحف والمجلات السعودية ليكتب عن المسلسل في الأهرام المصرية وفي مجلة السياسة الكويتية، وفي القدس العربي، وفي صحف سوريا، ولبنان. كما ظهرت عناوين تشير إلى أن ليس فقط السعودية تنشغل بظاهرة طاش ما طاش وصداها المحلي بل وربما انتشرت عدوى التحريم فيها، فقد ظهرت عناوين كويتيه في صحف

---

(31) عبدالله وناصر، الرياضي، 7 شوال 1424هـ.

(32) سيمون نصار، جريدة الوطن، 18-11-2003م.

(33) ناصر القصبي، الرياض، 21-4-1424هـ.

كويتية مثل القبس الكويتية والطليعة[34] تقول: طا«ش ماطاش يفجر غضب رجال الدين السعوديين»[35]، «جاء الدور على طاش ماطاش بعد باسكال مشعلاني وسوبر ستار»[36]، «طاش ممنوع»[37].

خرج مسلسل طاش ماطاش من دائرة الاهتمام المحلي إلى الاهتمام الخليجي ثم العربي. بدأ أبطال طاش يلقون الاعتراف والتقدير من خارج المملكة العربية السعودية، وفي دول الخليج وبعض الدول العربية. وعرض المسلسل في معظم القنوات العربية في الأردن والعراق وموريتانيا، والخليج بصفة عامة. وفي مرات عديدة كتبت الصحافة العالمية أخبار نجاح طاش ماطاش: «مجلة النيوزويك تكرّم عبد الله السدحان وناصر القصبي ضمن أهم أربعين شخصية تؤثر في مجتمعها»، كما كتب الكاتب الفرنسي باسكال مينوريه مقالاً في جريدة اللوموند الفرنسية لقي اهتماماً كبيراً تحدث فيه عن طاش قائلا: «طاش ما طاش ذلك المسلسل المحلي الذي تستعيض به جميع الأسر عن الفضائيات بالرغم من ابتكاراتها الرمضانية لتتحلق حول التلفزيون الوطني في انتظار موعد طاش ما طاش»[38].

---

(34) انظر: القبس، 10-9- 1424؛ الطليعة 20-9-1424؛ القبس، 15-9-1424
(35) السياسة الكويتية، 6-9-1424هـ.
(36) الطليعة 20-9-1424هـ.
(37) القبس 21-9-1424هـ.
(38) ورد هذا التعليق لمدير الإدارة المركزية في وزارة المعارف في مقال: باسكال مينورية، الحوار المتمدن، العدد: 951، 9-9-2004م.

ناصر القصبي يحتل المركز الأول كأفضل ممثل كوميدي في موقع جريدة الأنباء الكويتية. وفي موقع سيدتي الإلكتروني يحتل المسلسل المركز الأول في المشاهدة، وبطلاه الفنانان ناصر وعبد الله الأكثر شعبية عند المشاهدين.

الفاينانشال تايمز تحدثت عن حلقة هيئة الأمر والنهي تحت عنوان «طاش السعودي.. زوبعة في فنجان مجتمع محافظ»[39].

وفقاً للإحصائية الأخيرة عام 2006م التي أجرتها شركات أبسوس للأبحاث التسويقية، حصل طاش ما طاش على أعلى نسبة مشاهدين تجاوزت 50% من مجموع المشاهدين لأعلى مستوى مشاهدة في الفضائيات العربية[40].

ووصلت حلقات هذا المسلسل إلى رفوف مكتبة الكونجرس الأمريكية. «طاش حمل راية الدراما السعودية لآفاق عالمية بدليل دخول المسلسل عبر حلقة «الكوبري» إلى مكتبة الكونجرس في بادرة تعد الأولى من نوعها على المستوى العربي»[41].

---

(39) إيلاف، 11-10-2006م.

(40) الشرق الأوسط، العدد 10183، الأحد 23 رمضان 1427 هـ/ 15 اكتوبر 2006م.

(41) عبد الله الراشد، جريدة الرياض، 4-9-1424هـ.

المعارضون

بالتأكيد لم يكن الجميع معجباً بنجاح مسلسل طاش ما طاش، فبقدر ما أسعد هذا المسلسل بظهوره كثيراً من الناس في بداياته. «وعلى الرغم من أن طاش يعجب الكثيرين إلا أنهم قادرون على الانقلاب عليه في لحظة ما، من هنا يجب أن يعرف السدحان والقصبي أنه في الحقيقة ليس هناك من يقف في صفهما عندما يكونا جديين، قليلٌ من الناس هنا يريدون هذا الثنائي أن يضحكهم فقط ولكنهم سيغضبون كثيراً إذا ما أرادوا أن يتعرضا إلى مواضيع حساسة»[42].

بعضهم اتهمه بأنه يروّج لمشروع دعائي حكومي، ولفكرة أن الحكومة ترغب في ملاحقة الفساد ومحاربة الرشوة، وتفعيل برامج السعودة، وشكك آخرون في فردية نجاحه وقدرته الخاصة، فروّجوا لفكرة أن مسلسل طاش ما طاش ما كان له أن يمتلك هذه الجرأة والشجاعة لولا دعم المسؤولين الكامل له، ومنحهم ضوءاً أخضر للتعرض لكل القضايا دون استثناء!!

«من المبالغة اتهام البعض «طاش ما طاش» بأنه جزء من الدعاية الرسمية. فمع أن بعض الحلقات تمثل بامتياز البرامج الحكومية الكبرى كمكافحة الفساد الإداري أو «سعودة» الوظائف، إلا أن هدف المسلسل هو في مكان آخر. فمن

---

(42) ممدوح المهيني، جريدة الرياض، 29-شعبان -1425هـ/ 11 أكتوبر 2004

خلال رسم عيوب السعودية، يساهم المسلسل في عملية الإنقاذ»[43].

«انقسم السعوديون بين مؤيدين ومعارضين لهذا المسلسل الذي يعد أول عمل درامي يتناول بالنقد جهاز الهيئة»[44].

الذين لم يفهموا دور الدراما والنقد صُدموا بجرأة موضوعات طاش حول بعض ما يعتبرونه مسلّمات اجتماعية أو دينية أو أخلاقية، واعتبروا «أن كل ما يفعله مسلسل طاش ما طاش الذي يشاهده المواطنون وغير المواطنين هو نوع مما يمكن أن نسميه «نشر غسيل فضائحي»، وتشويه للصورة المحلية السعودية، وأخطاء لا يجدر بأصحاب المسلسل فضحها أمام الغرباء». ورأى بعضهم أن هذا النقد هو استغلال للحرية والبعد عن الرقابة. «أساءوا استغلال الحرية التي توسعت بعد خروجم من مظلة التلفزيون السعودي، وجعلوا من ذلك مبرراً للنيل من قيم ومعتقدات دينية واتهام المراكز الدينية بتهمة الإرهاب، المسلسل فيه انفلات من الناحية الأخلاقية كالتبرج والترويج للحفلات المختلطة»[45]

المسؤولون أيضاً انقسموا بين مرحب وغاضب، بعضهم تبنّى أهمية النقد الذي يطرحه المسلسل واعتقد بحاجة المسلسل

(43) باسكال، مرجع سابق.
(44) رويتر.
(45) صالح السليمان، جريدة الجزيرة، 4-10-2006م.

إليه، بل وزاد بأن تبرع وطالب بعدم التردد في تسهيل مهام فريق طاش ما طاش وتزويدهم بالمعلومات التي يحتاجون إليها من قطاعهم وفتح باب التصوير في إداراتهم ومكاتبهم، وتزويدهم بالمعلومات والأجهزة اللازمة. فهم يؤمنون بأن أسباب فشل خدمة جهازهم تعود لأسباب كثيرة أهمها بيئة العمل نفسه وتهالك النظام الإداري فيه، وانعدام الرغبة في التطوير، وتقلص الميزانية مما يتسبب في ظهور الخدمات ناقصة. وبالتالي فإن مثل هذا النقد سيساعده كمسؤول في المطالبة والضغط من أجل تطوير مؤسسته. بل إن بعضهم رأى أن مسلسل طاش ما طاش هو مشروع وطني هدفه الإصلاح ويلزمهم التعاون معه. ظهر هذا ماثلاً في موقف لأحد المسؤولين الكبار عن وزارة السياحة الجديدة، فبعد ظهور حلقة تتعرض لمشكلات السياحة، علق وزير السياحة في اليوم التالي لظهور الحلقة قائلاً: «طاش ما طاش ناجح في معالجة القضايا الجذرية، وقد هاتفني بعض الناس بعد ظهور الحلقة، ظناً منهم بأننا عاتبون على البرنامج! فقلت لهم: تمنيت لو أن البرنامج كان أشد لأن القضية وطنية وليست شخصية»[46].

مسؤولون آخرون أعلنوا سخطهم على العمل أو على الأقل عدم قبول ما جاء فيه، فقد رأوا أن نقد مؤسستهم الإدارية الحكومية هو نقد لدورهم الشخصي واتهاماً شخصياً

---

(46) سلطان بن سلمان، جريدة الرياض، 8-9-1424هـ.

لهم بالتقصير، وطعناً في أدائهم. هذا ليس مقبولاً لأنه سيحولهم إلى سخرية الناس وسخطهم.! بعض المسؤولين وقفوا له بالمرصاد، فما إن يسمعوا خبراً أن مسلسل طاش ما طاش في حلقته القادمة سيتناول إدارتهم، أو يتخذ من خدمات جهازهم موضوعاً، حتى يبذلون جهوداً حثيثة لمنع بث هذه الحلقة، وينجحون أحياناً في منع بثها، كما حدث مع حلقة «الدفاع المدني»، و«ولا يصح إلا الصحيح» و«صالون الهيئة».

هذا الانقسام ساعد في استمرار طاش ما طاش وشجعه على التصدي لقضايا يصر الناس على وصولها إلى طاقم المسلسل. وقد اكتسب هذا المسلسل سلطة نقدية جديدة مختلفة عن الدور الإعلامي القديم الذي اعتاد الناس على دوره الدعائي عبر تقديم كل ما هو إيجابي. وفطن المسؤولون إلى أنهم عرضة لنقد طاش ما طاش رغم اعتراضاتهم التي لم تفلح في لجمه، ومساحة التعبير التي أصبحت تتزايد لديه.

عكس الرقيب مزاجاً شخصياً يميل للتجاوب مع تلك المعارضات التي يشتد وطيسها وينجح أصحابها في رفع احتجاجهم لأكبر مقام في الدولة. ففي السنوات المبكرة لعرض طاش ما طاش تصادم أبطاله مرات عديدة مع هذا الرقيب، حتى انتقل المسلسل من إدارة الرقابة في التلفزيون السعودي، التي يعود إليها حق أو منع البرامج والمسلسلات، إلى مكتب الوزير نفسه الذي أصبح يشرف على إجازة الحلقات أو منعها،

والتي تكون محل خلاف في جهاز الرقابة، أو فوق طاقة التصدي لمسؤولية بثها. وفي أحيان عديدة خرجت بعض الحلقات - بغرض إجازتها - من مكتب الوزير إلى مقام أعلى من الوزير، إلى أصحاب الحل والعقد في البلاد، مثلما حدث في حلقة «الهيئة»، و«شيبان».

سرّبت الصحافة أخباراً عن هذا الرقيب. «التلفزيون يحجب ثلاث حلقات من طاش»[47]. «بعض حلقات المسلسل تتعرض لمقص الرقيب في بعض مشاهدها»[48]. أما تلك التي تحذف بالكامل فقد تكون نتيجة لمعركة قد نشبت في دهاليز التلفزيون لمنعها وربما وصل الجدل حولها لأعلى المستويات ونجحوا في الأخير في منع بثها، مثل حلقة «الدفاع المدني» التي يتعرض فيها مواطنون لحوادث حريق وغرق ويموت بعض الناس بسبب تدني مستوى الأداء في الخدمة المقدمة من جهاز الدفاع المدني أو «حمى الوادي المتصدع»، ذلك الوباء الذي انتشر في إحدى المدن الجنوبية الفقيرة وقُتل كثير من المواطنين بفعل تقصير الجهات الصحية!

«علمنا أن الحلقة الممنوعة من طاش ما طاش لهذا العام عنوانها (لا يصح إلا الصحيح) وتتحدث عن قضايا الإرهاب وهو أحد العناوين الرئيسية لحديث الشارع السعودي»[49].

---

(47) جريدة الرياض، 13-4-2002

(48) جريدة الرياض، 18-11-2003

(49) القبس، 21-9-1424 هـ/ 16-11-2003م.

«من المعروف أن التلفزيون قد قام بمنع حلقات من أجزاء سابقة لطاش إلا أنها انتشرت بعد ذلك ويتداولها الناس وتقوم بعض المحلات ببيع نسخ منها بالخفاء»[50].

مَنْعُ بعض الحلقات من البث يزيد محبي طاش ثقة بوطنيته، وإنه مسلسل للمواطن وليس للحكومة، حتى أصبح الناس يحرصون على الحصول على الحلقات الممنوعة ومشاهدتها. «الآلاف ينسخون حلقات صالون الهيئة بعد تسريبها من الإنترنت كاملة»[51]

لم يكن المسؤولون هم وحدهم الذين اعترضوا على نقد جهازهم الإداري واعتباره عملاً يثير الفتنة، فقد ظهرت اعتراضات أخرى لم تكن في الحسبان، هي قضية ظهور بعض اللهجات السعودية على لسان شخصية العمل لتصبح مرة أخرى محل خلاف جديد. «فريق المسلسل لا يجد سوى التندر وتكرار ما يثير النعرات والعصبيات الجاهلية عن طريق السخرية من العادات واللهجات لبعض المناطق وأستغرب أن يسمح التلفزيون السعودي بذلك» [52]

---

(50) جريدة الرياض، 23 رمضان 1424 هـ/ 18 نوفمبر 2003م.

(51) الوطن، 29-9-1424 هـ.

(52) ناصر العمران، مشاهد سعودي، جريدة الوطن، 2-9-1424 هـ.

معركة اللهجات

كان التلفزيون السعودي، طوال سنوات بثه، مستهلكاً نشطاً للمسلسلات والبرامج والمسرحيات المصرية والعربية، والتي اشتهرت بها مصر كأول مصدِّر للأعمال الفنية. المشاهد السعودي الذي اعتاد على المسلسلات العربية اعتاد أيضاً على موضوعاتها البعيدة عن واقعه والتي تناقش مشكلات أزمة السكن، وصعوبة الحصول على شقة، ومشاكل الحارة المصرية. كما أن الإعلام السعودي ساهم في رواج صورة الشخصية السعودية الإيجابية ذات الملامح الثقافية والسمات المتشابهة. «من مشكلاتنا الرئيسية أننا نريد أن ننظر إلى كل شيء في مجتمعنا وحياتنا وشارعنا، وعلاقاتنا وإلى كل شيء يتعلق بنا على أنه صورة مثالية ولا قصور ولا عيب فيها، لهذا نرى أن طاش يسيء إلى المجتمع ويخدم أهدافاً خارجية»[53].

هذه الصورة المثالية التي كان الإعلام السعودي يحرص على تعميمها كنمط واحد وإن اختلف زيه، كانت تروج كعنوان ورمز للوحدة الوطنية، وبوحدة النسيج الاجتماعي، وبحكم مركزية الحكم والإدارة في مدينة الرياض العاصمة، طغت سمات الشخصية النجدية على نمط الشخصية السعودية، لكن المسلسل لم يتفق مطلقاً مع هذه الفكرة، فاتخذ من المواطن السعودي شخصية رئيسية، ومن مشكلات المواطن السعودي

---

(53) تركي السديري، جريدة الرياض. 28-11-2006م.

موضوعاً رئيسياً له. والمجتمع السعودي كمجتمع عريض أبرز تنوع هذه الفكرة التي تقول بأن المواطنة السعودية لا تتعارض مع القول بأن هذا المجتمع العريض الذي يتوزع على مليوني كيلومتر مربع متعدد الثقافات ومتمدد على جغرافيا تؤثر في شكله وثقافته لكونها تتوزع بين ساحل وجبل وصحراء ومدن وقرى وحدود واسعة ومسافات كبيرة تفصل بين شمال وجنوب وشرق وغرب ووسط. وينتقد تقاليد عفى عليها الزمن ولم تعد تتماشى مع الواقع.

لم يعهد المشاهد السعودي كون الشخصية السعودية نموذجاً لشخصية درامية تعيش قضاياه وتقلد لهجته وتناقش تقاليده، تلبس أزياءه، لها سماته النفسية والاجتماعية، في عمل تلفزيوني، باستثناء أعمال محلية قليلة تعد على الأصابع يأكلها الزمن عادة وتذوب من ذاكرة المشاهد.

ظهرت الشخصيات المتنوعة في المسلسل، الشخصية الحجازية المتمثلة في شخصية الشاب فؤاد الذي جاءت الصدفة ليكون أحول لكنه طيب ومهذب وسهل قمعه والضحك عليه، وظهرت الشخصية الشمالية بكرمها العشائري مع الغريب لكنها تغضب من فوضاه في حلقة الحدود، الشخصية النجدية في سعيدان وعليان وأبوحسين وأبوزنيفر وأبوصالح، والحجازية في فؤاد وأسعد عمر قلي، والعسيرية في أبوعلي، كما ظهرت شخصية القصيمي (من القصيم) والجيزاني من (جيزان)، وحتى السعوديين الذين هاجروا للزبير ثم عادوا واطلق عليهم لقب

(الزبيري) ظهرت واحدة من شخصياتهم في إحدى الحلقات، كما ظهرت المدن السعودية كالرياض القديمة والجديدة وجدة القديمة والجديدة والخبر، وتم التصوير في القرى والجزر والصحراء والشواطىء السعودية.

المشاهد العربي عبّر عن دهشته بأن السعودية تحمل هذا التنوع الثقافي حين تعرّف على شخصيات مثل أبوعلي العسيري وفؤاد وأسعد عمر قلي الحجازيين. كما أن «طاش ما طاش خلق ألفة بين المشاهد الخليجي والعربي وبين اللهجة السعودية»[54].

«الدراما كفنّ يُبرز متناقضات الأفعال ولا يركز على الشخصيات وإن كانت من أفعاله كفرد أو أجندتهم كفئة أو تيار، أو سياستها كمؤسسة عامة أو خاصة تزخر بالمتناقضات، فالمفارقات والتباينات في الأفعال سوف تكون ضالة ومنى ومبتغى أي كاتب أو عمل درامي في أي مكان في الدنيا»[55].

هذه واحدة من أهم الحقائق التي واجهتها الدراما مع المشاهد السعودي.

البعض ظل يحب ويشجع المسلسل حتى ظهرت شخصيّة تمثل ثقافته ولهجته وزيه وسماته النفسية، هنا رفع بعض هؤلاء

(54) حياة الفهد، جريدة الرياض، 8-7-2005م.
(55) عبد الرحمن الوابلي، المجتمع السعودي والدراما، منتدى منتدياتنا 20-11-2006م.

المشاهدين الكارت الأحمر وصفر الحكم في ملعب طاش ما طاش معترضاً؟

أبدى بعض الحجازيين امتعاضهم - على سبيل المثال - وعبّر بعض الكتّاب من المنطقة الغربية عن هذا الامتعاض بظهور شخصية حجازية مصابة بالحول وساذجة ولاحق ممثلها سؤال يقول: هل تظنون بأننا حولان؟!

فهم البعض أن طاش يتعمد «تشويه صورة أبناء الوطن والمناطق جسدياً وخلقياً تحت مسمى الكوميديا والنقد الاجتماعي»[56].

الجيزاني والعسيري أيضاً اعترض على بعض الأخطاء التي وردت في اللهجة وعدم إجادة الممثلين لها إجادة خالية من الأخطاء، واتخذوا من ذلك ذريعة للاعتراض بأن ما جاء في الحلقة هو سخرية منهم وتعريضاً بثقافتهم، وعلى الرغم من وجود شخصية ساذجة في حلقات طاش ما طاش مثل سعيدان وعليان ولصوص ومرتشين وثقلاء، ومرابين يتحدثون اللهجة النجدية إلا هذه الحساسية النجدية ظلت بعيدة إلى حد كبير عن حرب اللهجات، فلم يتحسس النجدي بقدر ما تحسس أصحاب المناطق الأخرى التي ظهرت في المسلسل، وربما يعود السبب إلى أن دور نجد كمركز حضاري وإداري قد منح هذه الشخصية شعورها بالمركزية أيضاً، كما لعبت طبيعة

---

(56) خالد الفرم، الوطن، 16 رمضان 1424 هـ.

المجتمع القبيلة بطبقتيها دوراً هاماً في فهم صور الشخصيات غير النجدية على اعتبار أنها الهامش ونجد هي المركز، كما بالغ البعض في باقي المناطق في شعورهم بالإهمال والهامشية، وبالتالي فإن ظهورهم في تلك الشخصيات تشهير بموقفهم الضعيف.

رأى أحد اللغويين في جامعة جدة «أن أهل الجنوب والحجاز لا يتماهون مع هذا الأسلوب الساخر الذي يعرض لنظرة أهل نجد (مقاطعة العاصمة، الرياض) إلى أبناء المناطق»، «هناك أيضاً من أشار إلى التواطؤ الضمني بين «طاش ما طاش» والنخبة المحافظة»(57).

وقد نقل لي أحد المشاهدين تفسيراً لا يمكن أن يطرأ على بال أحد، كإشارة لواقع سياسي سعودي وهو أنه في أحد المشاهد يسقط جواز السفر السعودي على الأرض فتصعد الشخصية النجدية في المسلسل فوق ظهر الشخصية الحجازية ليلتقط الجواز في إشارة لاعتلاء نجد على ظهر الحجاز!!!.

استغل المعارضون لطاش ما طاش هذه المآخذ حول اللهجات وتفسيراتها المختلفة حتى أنهم في استنادهم إلى تبريرات تحريم طاش ما طاش أقحموا هذه النقطة لكسب أصحابها في ساحة المعارضة، وحاولوا تأجيجها، حيث جاء في فتوى تحريم طاش ما طاش:

---

(57) باسكال مينوريه، مرجع سابق.

«إن المسلسل تناول عادات بعض البلدان والمناطق ومحاكاة لهجاتهم على وجه التحقير لأهلها وإظهار معايبهم»[58].

ظلت هذه الحساسية تثير بعض الاعتراضات على المسلسل وتغمز من جانبه، إلا أن كثيراً من هؤلاء سرعان ما تجاوزوا هذه الحساسية خاصة بعد ظهور شخصيات تقلد طبقة أصحاب القصور، ورجال الأعمال ومحدثي النعم، والمدعين، كما ظهرت الشخصية البدوية بشكل سلبي من مختلف المناطق، ولعل من أطرف تلك الشخصيات الحيوية التي أثارت اهتماماً شخصية «سواق الشيوخ» في حلقة الحارة التي قام بها بشير الغنيم.

«عُرض عليّ في حلقة الحارة دور لم يكن مناسباً فرفضته واقترحت أن أضيف شخصية سواق الشيوخ واستمرت هذه الشخصية ثلاث سنوات»[59].

غيّر البعض موقفه لاحقاً بعد أن أدرك قوة انتشار المسلسل، فقد أدرك هؤلاء المعارضون أن هذا المسلسل لم يترك أحداً دون أن يتعرض له، ولم يقصد أحداً بعينه. وبعد

---

(58) فتوى تحريم طاش ما طاش، الهيئة الدائمة لكبار العلماء
http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=260&itemid=25
http://saaid.net/fatwa/f.htm

(59) بشير الغنيم، الرياض 25-5-1424 هـ/ يوليو 2003م.

ظهور الفتوى، وعاصفة الحرب على طاش تراجعت الحساسية من اللهجات ليتخذ أصحابها موقف الدفاع عن طاش ما طاش فقد أصبحت المسألة بالنسبة لهم هماً وطنياً بعيداً عن الاختلاف الجغرافي والثقافي.

«كنت قد هاجمت البرنامج الاجتماعي النقدي التلفازي طاش ما طاش في إحدى السنوات الفارطة والتي كان يسير فيها إلى النضوج الفني وإلى الطرح الذي اعتبره البعض استفزازاً، ولكن هذا العام أمام الهجمة المنظمة ضده فإنني أقف في صف تطوره، ونضوجه وطرحه الذي استهدف كشف عورات السلوكيات والضمائر وبعض الأنظمة»[60].

«رغم اختلافي معهم منذ خمس سنوات لتكرار القضايا إلا أن حلقة البادي أظلم كفيلة بتجاوز أخطاء المسلسل السابقة لمدى ما يتمتع به أبطال المسلسل من حس شديد وملامسة قوية لما يهم المجتمع»[61].

المنقلبون

في ظل معمعة الخصام التي أطلقت ألسنتها ضد مسلسل طاش ظهرت فئة من المعارضين الذين لا يتفقون بالضرورة مع ما جاء في الاعتراضات على المسلسل لكنها وجدت في هذه الاعتراضات ما يتوافق مع مصالحها، أو تتسلق عبر هذه

---

(60) عبدالله الجفري، عكاظ، 25 رمضان 1427 هـ

(61) مساعد الخميس، جريدة الرياض، 15-9-1424هـ.

المواقف إلى مرتبة ترضي فيها أصحاب النفود، إن لم تكن تسخِّر صوتها لمرضاتهم ولفت النظر إلى أنهم من أصحابهم. استغلت هذه الأصوات هذه الفرصة لتزايد على تجهيل الناس بمفهوم الدراما، وطمس الحقائق التي تصدى لها المسلسل، فمن هؤلاء كان حملة الأقلام من الكتّاب ورؤساء التحرير والفنانين والمنتجين التلفزيونيين والصحفيين والأكاديميين، الذين من المفترض أن يكونوا أكثر وعياً بدور الفن ودور الإعلام، والذين يلعبون في أي مكان في العالم دور التنوير والدفاع عن حريات التعبير، والتوعية بدور الدراما، إلا أنهم اكتشفوا في الحملة على طاش ما طاش ما يتناسب مع مصالحهم، أو اعتبروا أن التضامن مع هذه الحملة سيساهم في رواجهم الفني، حيث كتب منتج تلفزيوني اشتهر عنه إنتاج المئات من المسلسلات ما يفيد بأن الدراما السعودية يجب أن تشتغل «بترويج الشخصية السعودية الايجابية»!.

أعلن بعض الفنانين والصحفيين في لقاءاتهم وكتاباتهم أنهم رغم تقديرهم لقيمة مسلسل طاش ماطاش وأبطاله إلا أنهم يختلفون مع طرح طاش ما طاش المتجاوز والناقد. بعض الكتّاب طالب بالرقابة على مسلسلات مثل مسلسلات طاش ماطاش، دون أن تعبأوا بحرية التعبير وأن دعوة مثل فرض مزيد من الرقابة على الاعمال الفنية، قد لا تضر بالمسلسل وأصحابه بقدر ما تضر بمستقبل الدراما والحرية والإعلام الذين هم اللاعبون فيه والمسترزقون من ورائه، كثيرون ممن يعتاش

على طاش لكن بقيت الفئة الأكثر غلبة والأعلى صوتاً والأكثر شراسة.

«ما كان يجب التطرق لخداع الأزواج لزوجاتهم ولا لقضية تكافؤ النسب وخطأ القاضي في هذه القضية، ولا إلى الإرهاب الذي يشير إلى أن موطننا هو موطن الإرهاب لأنهم شواذ»[62].

«لقد كنا بخير عندما كان مقص الرقيب في التلفزيون السعودي يقص المشاهد التي قد تمسّ الدين أو تخدش الحياء العام، أو حتى المشاهد التي قد تعكس صورة غير مشرِّفة عن المواطن السعودي في الخارج»[63].

«عنوان حلقة إرهاب أكاديمي يوحي بأن هذا البلاد هي منبع الإرهاب ومقر أكاديميته كما أنها تتبنى سياسة الحرب على الإسلام وتصوير الشعوب والأمم بأنها إرهابية وهذا جزء من أساليب ومخطط حرب الأفكار والدعاية الـ. . . . التي تعطي الشرعية لأصحاب القرار السياسي. . . لشن العدوان»[64].

«كان لا بد أن يخضع طاش ما طاش لرقابة تحذف التي المشاهد لا ينبغي أن تذاع والتي تثير البلبلة وأن يعاد السيناريو والحوار له ليتماشى مع مضمونه الهادف» [65].

---

(62) حمد القاضي، الجزيرة، 15 رمضان 1472هـ.
(63) طلال عبدالله، جريدة الرياض، 22-9-1472هـ.
(64) سعد البريك، جريدة المدينة، 21-9-1427هـ.
(65) بنية عطرجي، جريدة الرياض، 11-9-1424هـ.

«أتفق مع مضمون الحلقة ولكن ليس المناسب طرحها لأن الطرح سيفاقمها»[66].

وبعضهم أراد أن يؤسس في رأيه لمن يُنتقد ومن لا يُنتقد بأن يجعل من بعض الفئات والمؤسسات الحكومية طبقة فوق النقد. «كان على طاش ما طاش أن يزن الأمور بميزان المصلحة والمفسدة فيلجآن للرمز وليس إلى التصريح، وأن يدركا أن انتقاد مؤسسة دينية محفوف بمخاطر كبرى بعضها حقيقي يجب التنبه إليه وتركه وبعضها سيادي لن يهون على المؤسسة»[67].

المتشدّدون

تعرض مسلسل طاش لمفاهيم لم تكن يوماً قابلة للنقاش مثل الأيديولوجية المتطرفة التي تجيّش صغار السن وتزرع بينهم ثقافة الكراهية، وتحث على نبذ المختلف وقتل غير المسلم، وإعلاء المظهر والشكل في الدين على حساب القيم العليا كالصدق والامانة، والاختلاط، وقيادة المرأة للسيارة، وشكل الحجاب. وقد أثار ظهور المرأة في التلفزيون السعودي بدون غطاء على شعرها متبرجة في مسلسل طاش ما طاش أولاً كممثلة ثم كموضوع كثير من الاعتراضات والاستياء لدى تيار

(66) حمد القاضي، الجزيرة، 17 رمضان 1427هـ.

(67) د. ناصر الحمود، الجزيرة، 18 رمضان 1427هـ.

المتدينين، كما اعتبر الحديث عن حقوقها في المسلسل زيادة في الإثم والخطأ.

ظهر السخط على المسلسل من قبل أصحاب التيار الديني في المساجد والخطب الوعظية، وفي كثير من الصحف والمنتديات الالكترونية التي تتسم بطابع التدين والتشدد والمحافظة. وهذه المعارضة سنتحدث عنها بالتفصيل في الفصل التالي.

الفصل الثالث

معركة تحريم طاش ماطاش

«نحتاج إلى الفن حتى لا تميتنا الحقيقة»
نيتشه

معارك المتدينين

لقد عبّر مسلسل طاش ما طاش عما يدور من أحاديث في المجالس الاجتماعية حول قضايا وموضوعات، مثل قضية الأسهم وتفاعلها السنوي، وكانت تعرّض بتقصير الأجهزة الحكومية وسوء خدماتها وغبنها للمواطن، كما انتقد بعض التقاليد البالية التي لا تزال تضع الناس وتقسمهم إلى طبقات. كل هذا لم يهزّ الشارع السعودي ولم يرفع نبرة مكبرات صوت مساجده، إلى أن اقترب من القضيتين الشائكتين في المجتمع السعودي، المرأة وبعض مظاهرالتشدد الديني، وقضايا متعددة تهدد الأمن العام كالإرهاب، وتكتب عنها الصحف، ويناقشها كتاب الرأي العام.

«عندما تم إدخال أمر جديد خلال الأعوام التالية وهو نقد

حذر لبعض الظواهر الاجتماعية المتلبّسة لباس الدين لم تستطع حلقة واحدة من المسلسل تحمل ضغطها التاريخي وقدمت بشكل سريع اعتبرها البعض استفزازاً للشعور الديني»[1].

تعرّض المسلسل في بدايته، وضمن برنامجه النقدي للسلوكيات العامة، إلى بعض مظاهر التدين الفاسدة التي يتم تشجيعها طالما أنها تلتحف ستار التقوى والتدين، فانتقد المتدينين الذين لا يخلصون في أعمالهم مثل المؤذن الذي يحيل عمله (الأذان) إلى عامله الهندي بسبب انشغاله في مكتب للعقارات، والجار الذي لا يفهم من الدين سوى القيام بالتدخل في شؤون جاره حتى يفسد عليه حياته بالنميمة، والتضييق عليه بمعتقداته مثل نصحه المتكرر بأن الطبق اللاقط الذي يظهر على سطح بيته حرام. وغيرها من السلوكيات التي تعبّر عن خلل سلوكي يتخذ التدين مظهراً له. كان التعرض لنقد هؤلاء في بيئة لا تسمح بنقدهم هي الشرارة التي أوقدت حرباً بدأت تنتشر في منتديات الانترنيت وتناقلتها المجالس إشارة إلى أن المسلسل خرج عن خط المسموح به ومسّ محرّماً وتجاوز خطاً أحمر لا يسمح عادة بتجاوزه ودخل في منطقة محظورة.

بدأت تنتشر أحكام تقول إن المسلسل في أصله وشكله، قبل مضمونه، محرّمٌ، وأخذت تحشد الاعتراضات عليه في

---

(1) ممدوح المهيني، جريدة الرياض، 29 شعبان 1425 هـ الموافق 11 اكتوبر 2004م.

صورة تبتعد في بدايتها عن التصريح بأن نقد المتدينين فقط هو ما أثار حفيظتها، وسنعرض لبعض الحلقات التي أثارت جدلاً واعتراضات دينية:

1- حلقة «بدون محرم»

يُجمع كثير من الباحثين والكتّاب على أن التعرض لقضايا تخص المرأة في المجتمع السعودي هو أكثر الأحراش الصعبة والتي تكلف أصحابها الكثير، وقد قلنا سابقاً في تعريفنا للشخصية المتطرفة إن مرضها يتجلى بصورة خاصة في موقفها من المرأة، فهناك دائما أوهام غواية المرأة للرجل مهما كان سنها أو مكانتها (زوجة أو ابنة أو أختاً أو أماً) وهناك دائما أوهام حيوانية الرجل وشهوانيته تجاه المرأة، وأيضاً الشك الدائم في الذات وفي الآخر، ذلك أنه لا يمكن الفصل بين الذات والآخر، وهذا ما حدث تماماً تجاه إحدى الحلقات عنوانها: «بدون محرم» وقد وصفتها الصحافة بأنها «حلقة تتطرق إلى موضوع المحرم أو الوصي الذكر الذي لا يمكن للمرأة السعودية (نظرياً) التصرف من دون علمه»[2].

«وهي حلقة تتحدث عن وضع النساء اللاتي يُمنعن من

(2) أستاذ الفلسفة الفرنسي باسكال مينوريه (Pascal Menoret) وهو خريج جامعة السوربون في فرنسا تخصص فلسفة ولديه شهادة الماجستير في العلوم الاجتماعية ويقوم بالتحضير لرسالة الدكتوراه حول المجتمع السعودي في المعهد القومي للغات والحضارات الشرقية (Inalco).

الخروج إلى المجتمع أو من دخول المطعم أو محل لشراء شريط فيديو لطفلتهن الصغيرة وعدم قدرتهن على مراجعة المؤسسات الحكومية التي يَصْعُبُ عليهن دخولها بحجة عدم اختلاط النساء والرجال وانتهاء بالأذى الذي يلحقهن عند خروجهن للشارع». وتسخر هذه الحلقة من كل هذا بأن تحل مشكلة نساء بيت بلا رجل بوضع الغترة والعقال على رأس طفلة هي الأنثى الصغيرة في البيت لتصبح رمز الرجل حتى ولو كان طفلاً، معادلاً ذكورياً لا ترقى إليه قيمة أربع نساء راشدات متعلمات، وكيف تتحول النساء في الشارع إلى طرائد لصقور ذكورية تستسهل عادة ملاحقة النساء إذا كن بدون حماية ذكورية.

تعاطف البعض مع حلقة «بدون محرم» وأأكدوا على أنها مشكلة ينبغي التصدي لها، «ما عرضه طاش رأيناه بأعيننا وعشناه في الواقع»[3].

أكد البعض على أن «ما جاء في حلقة بدون محرم، من معاناة للنساء هو جزء يسير من معاناة المرأة»[4]. كما أن ماجاء في الحلقة لا يشير إلى مفهوم المحرم من منطلق ديني بل اجتماعي وتنظيمي، وقد كان المنطلق الاجتماعي من الوضوح بحيث إن أحد ائمة المساجد حاول توضيح ذلك في إحدى

---

(3) حمد الماجد، 16-8-1427هـ/ 9-11-2006م.

(4) موضي العنزي، الجزيرة، 17-9-1427هـ.

الصحف حيث قال: «ربما جاء من كبّر الموضوع وزاد في حلقة بدون محرم، وقد رأيت الحلقة ولم يتبين لي أن فريق طاش قد طالبوا بالغاء المحرم بل ضربوا أمثلة على تعقيدات من ليس لها محرم في كل زمان ومكان، وأنا أضمّ صوتي إلى صوت فرقة طاش ما طاش وأنا- والله يعلم - لا أعرف أحداً منهم وأقول يجب أن يكون في كل مصلحة حكومية مهما صغرت أو كبرت قسم للنساء لأن معاناة الأرامل والمطلقات ومن فقدت ذويها لأي سبب معاناة لا يمكن أن تحتمل»[5].

إلا أن ذلك لم يكن رأي المتشددين، فقد استُقبلت هذه الحلقة بضجيج حاد لم يسمع فيه الرأي المخالف وأي رغبة في توضيح ما التبس على البعض، وظهرت آراؤهم المتشددة عبر منابر المساجد في التعريض بما جاء في الحلقة فالعنوان (بدون محرم) وهذا يكفي لاعتبار المسلسل حرباً على الدين.

في اليوم الخامس وبعد بثّ الحلقة ظهرت عناوين تلخص ما حدث: «طاش ما طاش يفجر غضب رجال الدين. آراء تقول بأن طاش ما طاش بدأ يشطح عن مساره. بدون محرم دعوة صريحة إلى انسلاخ المرأة عن تعاليم دينها وضوابط إسلامها، وتمردها على قيمها وعاداتها ولا أعلم كيف سمحوا لأنفسهم وجرّوها على الامتعاض والاعتراض على المحرم الذي هو الدرع الواقي والسياج المانع لكرامة المرأة وصيانة

---

(5) سعيد حداوي، إمام وخطيب مسجد، عكاظ، 10 رمضان 1424هـ.

عرضها والمحافظة على شرفها وهذا هو شرع الله الذي لا يجوز الاعتراض عليه أو الامتعاض مهما كانت الحجج والأعذار».

«حلقة المحرم كلها بهتان وكذب واستهزاء بشرع الله»[6].

«نددت معظم المساجد بحلقة بدون محرم. في تلك الليلة بكى بعض الأئمة من تلك الجريمة العظيمة، جريمة السخرية بالدين وبالتحريض على ترك نسائنا وحرماتنا عرضة للمتصيّدين والفاسدين والهزء من الله ورسوله الذي أنزل قانون المحرم، ورفع كثير من المصلّين أيديهم في دعاء القنوات في الليلة الخامسة في توسل طويل المقام إلى الله أن يشل الله أرجلهم ويصم آذانهم وييتّم أطفالهم على هذه المسلسلات الفاسدة التي تهزأ بالدين والمتدينين والذين يخافون على أعراضهم ويغارون عليها»[7].

تجرأ الفكر المتشدد في التقدم وإعلان مساحة الحياة التي يؤمنون بأنها الحق المتاح للمرأة واتخذوا من رفع المصاحف والدين حيلة لهم فكتبوا: «حلقة المحرم تهدف للمبالغة في إظهار معاناة المرأة السعودية عند تطبيقها شرع الله في ضرورة مرافقة المحرم عليها في كثير من شؤونها في بلدنا الإسلامي

---

(6) الرياض، 8-9-1424هـ.

(7) إيلاف، 30-9-2006م.

الذي يحرص على تطبيق شرع الله، إلا أن نساءنا والحمد لله ترضى وتسعد بها لأنها تعرف أنها تنال عليه رضى الله والأجر العظيم وتحافظ به على شرفها، فهل تريد هذه الحلقة من المرأة أن تراجع بنفسها في جميع الدوائر الحكومية وتتزاحم مع الرجال في البلديات وغيرها؟ هل تريد أن تعكس لنا هذه الحلقة لمن يشاهدها من غير السعوديين من العرب صورة سيئة عن رجال وشباب وطننا وأن رجالنا يتحرشون بالنساء وهنّ في السيارات والطرقات»[8].

«تصوٍّر حلقة بدون محرم أن المحرم من أسباب حرمان المرأة من حقوقها، وضرورياتها. منذ متى كان تناول المرأة المأكولات في المطعم من حقوق المرأة وضرورة تسمح بها عاداتنا وتقاليدنا»[9].

«ما جاء في حلقة المحرم استهزاء بالمتدينين شكلاً وموضوعاً، والانتقاد الذي يواجهه المسلسل لم يبدأ إلا بعد دخول المسلسل في نفق خطير يمسّ الثوابت الشرعية والفقهية، وكان الأجدى بهم التوقف بدلاً من الاعتداء على هذه المسلمات الشرعية»[10].

وبعضهم هاجم الحلقة بقوله: «إن اشتراط المحرم معها

---

(8) محمد الحربي، المدينة، 2-9-1424هـ.

(9) ناصر الراجح، مشرف تربوي تعليم حائل، جريدة الجزيرة، 12-9-1424هـ.

(10) نورة السعد، جريدة الرياض، 11-9-1424هـ.

في كل مكان ليس من قوانين البشر التي تعتبر متى ما أردنا ولكنها من سنن الله»[11].

بعض الكتّاب الذين لم يجرؤوا على الوقوف في وجه التيار المتشدد وجد نفسه مضطراً لتبرئة نفسه من الوقوف بجانب طاش ليأمن العواقب تماماً مثلما عبّر أحد المثقفين المعجبين بهذا العمل، فقال بعد حلقة بدون محرم «لقد بالغوا قليلاً»!

تجاوب مع هذه الاحتجاجات شيوخ خارج السعودية، وامتدت الفتاوى من ساحة المجتمع السعودي لتصل إلى الكويت ليقول أحد شيوخها في صحيفة كويتية: «ما جاء في حلقة المحرم يصب في خانة الكفر»[12].

«في مطلع شهر رمضان (كانون الثاني/ يناير 2003) أقلقت سكون الرياض الرمضاني، تظاهرة غير معهودة. فبينما كانت السيارات القليلة تمر مسرعة في الجادات الخالية قبيل الإفطار، كان أربعون شخصاً يسيرون إلى مبنى التلفزيون الرسمي ليطالبوا بالصوت العالي بوقف أحد البرامج التي تعرض على شاشته. أما سبب غضبهم فهو المسلسل المشهور «طاش ما طاش» الذي يُبَثّ كل ليلة من ليالي رمضان منذ 11 عاماً»[13].

---

(11) جميل اليوسف، الجزيرة، 19-9-1424هـ.

(12) الشيخ ناظم المسباح، القبس، 15-9-1424هـ.

(13) باسكال مينوريه، الحوار المتمدن، العدد: 951، 9-9-2004م.

2- حلقة «وشو من لحية»

لم يكتفِ المسلسل بالتصدي للدفاع عن حقوق النساء وحقوق المواطن، بل تعرّض لفساد وانحلال بعض نماذج أولئك الذين ينصِّبون أنفسهم حماة للدين، خاصة ممن يتخذون من مظاهر التدين الخارجية ستاراً يبعد الشك عنهم، مستفيدين من الموقع الاجتماعي الذي يمنحه مجتمع متديّن ومحافظ، خاصة من طرف بسطاء النّاس الذين يمنحون الشخصيّة المتدينة التزكية والثقة المطلقة، مما حدا ببعض أصحاب النفوس الضعيفة والضمائر الفاسدة بأن تتخذ من المظهر الديني غطاء تمارس تحته أبشع أنواع الرذائل، فهي تسرق وترابي وتتجنى على الضعفاء، مستغلة ثقة المجتمع الذي يَفترض أن كل ملتزم بالمظهر الديني الخارجي (إطلاق اللحية، والثوب القصير، عدم لبس العقال) هو رجل فاضل بالضرورة، وبالتالي فهو فوق المحاسبة وجدير بالثقة.

في حلقة «وشو من لحية» ظهر بطلها رجلاً فاسداً اشتكى من حكة في وجهه، فنصحه الطبيب بأن يقلع عن حلق لحيته حتى يشفى. بعد أن ترك لحيته تطول انتبه لتغير تعامل المجتمع معه، وللحظوة والسلطة التي حظي بها عند إطالته لحيته حتى راح يستغل هذه الثقة وعلوّ الشأن فأنشأ شركة مساهمة، وجمع أموال الناس ثم هرب بها.

المتضامنون مع هذه الحلقة وجدوا أن «حلقة طاش، عن أصولي جعل من إعفاء لحيته وتقصير ثوبه وسيلة لخداع الناس

وسرقة مئات الملايين باسم المساهمات العقارية، ضاربة في الصميم. وقد كان وقعها على بعض ضحايا النصب الذين ينتظر بعضهم رد أموالهم منذ سنوات برداً وسلاماً، فمع أنها لم تكشف سراً، بل ألمحت إلى واقع يتكرر دائماً عن بعض أولئك الذين وجدوا التظاهر بالصلاح أحبولة للربح السريع وخداع السذج، فقد كان ردّ فعل بعض من كتّاب الصحف ومواقع الإنترنت على الضد من ذلك. ورغم أن القائمين على المسلسل كانوا -كما يبدو- حذرين من اتهامهم بلمز المتدينين على وجه العموم جاءت الانتقادات في الحلقة نفسها على لسان متدين آخر، بذل نصائحه للشيخ النصّاب وحذره من عقاب الله في الآخرة، إلا أن الأمر كان مؤلماً إلى الحد الذي دفع حمد الماجد في صحيفة الشرق الأوسط لأن يعتبر تلك الحلقة سخرية من الدين ورجاله»[14].

إلا أن المتشككين في كل ما يجيء به طاش حاولوا النيل حتى من أهداف الحلقة النبيلة واعتبروا كل إشارة فيها همزاً ولمزاً حول الدين والمتدينين. «في الآونة الأخيرة تتابعت القصص التي تنشرها الصحف عن فساد بعض ممن ينتسبون للتدين كالاتجار بالمخدرات أو تعاطيها، وسرقة الأموال وغيرها، كما في بيانات الداخلية السعودية عن خلايا القاعدة، وسريعاً ما تتحول قصة ما إلى ساحة للنقاش والتهم المتبادلة،

---

(14) منصور النقيدان، إيلاف، 17-10-2005م.

ما بين المتدينين (الإسلاميين) وما بين آخرين وجدوا ذلك مدخلاً ومطعناً للتشكيك بكل إمام مسجد أو مدرس حلقة تحفيظ أو داعية. ولو أن النصّاب الذي كان شخصية الحلقة لم يكن ملتحياً ولم يكن متظاهراً بالصلاح لما قوبلت بتلك العاصفة من الاستياء لدى فئة معينة فقط هي فئة الملتحين! فما الحيلة وبعض ممن تتصدر صورهم الصفحات الأولى في صحفنا من نصابي المساهمات هم من ذوي اللحى؟ الواقع هنا يراد طمسه وتجاهله، مع أن الجميع يعلمه، وهذا هو الكذب على النفس وتزوير الواقع»[15].

3- حلقة «إرهابي أكاديمي»

عرضت حلقة «إرهاب أكاديمي» التي تم بثها على فضائية «إم بي سي» السعودية الخاصة يوم الأربعاء 27-9-2006 بشكل ساخر لعملية تجنيد شباب للقيام بأعمال عنف وتفجيرات، كما تعرضت ضمناً بالنقد لتنظيم القاعدة حيث تكرر ظهور صور لزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن والرجل الثاني في التنظيم أيمن الظواهري، وضمّت الحلقة عدة مشاهد للتفجيرات الإرهابية التي تعرضت لها السعودية.

وفي نهاية الحلقة، يتم إعداد حفلة لاختيار «الإرهابي ستار» أو «الإرهابي النجم» على غرار برنامج (ستار أكاديمي)

---

(15) منصور النقيدان، إيلاف، 17-10-2005م.

فيظهر الجمهور وهم يرتدون الملابس السعودية ويتقدمهم شيخ مسلم. وتظهر مذيعة متبرجة لتبدأ الحفل ويتضح أنها إحدى الأسيرات. بدأت المذيعة بتقديم الحفل وأعلنت عن المشهد الأول فيه وهو عبارة عن نشيد اسمه (فجر). وظهر بعدها ممثلو المشهد وفي أيديهم الأسلحة.

بعد بثّ هذه الحلقة «امتلأت الصحف السعودية ومنتديات الإنترنت بمقالات ومداخلات حادة لرافضي الحلقة الذين اعتبروا أنها تسخر من ثقافة المجتمع الإسلامية وتساهم في دعم الصورة السلبية عن الإسلام لدى الغرب. وبدرجة أقل ظهرت على هذه الساحات الإعلامية أصوات المؤيدين للحلقة باعتبارها انتقاداً درامياً لأحوال السعوديين يسعى لتوعية الشباب الذين يغرر بهم لتنفيذ أعمال إرهابية»[16].

4- حلقة «واتعليماه»

قامت الدنيا ولم تقعد على المسلسل حين ظهرت حلقة و«اتعليماه» لتشير بالاتهام نحو مناهج التعليم والمعلمين لجهة مسؤوليتها عن نشر ثقافة الكراهية والعنف والبعد عن التسامح، وعدم احترام الآخر. واعتبرت أن جهاز التعليم مخترق من أعلى قيادة فيه حتى أصغر معلم من قبل تيار متشدد يتبنى الفكر التكفيري ويشجع عليه. اعتمدت بعض حلقات المسلسل على قصص واقعيه لمعلمين أُبعدوا عن التدريس وقُدِّموا للمحاكمة

(16) محمود المعيقل، جريدة البلاد، 12-9-1427هـ..

بتهمة الكفر والزندقة بسبب مطالبتهم بنشر ثقافة التسامح أو تهاونهم في تبنّي أحكام متشددة كحرمة سماع الموسيقى وحرمة قتل غير المسلم المدني. «يد الرقابة تمس بعض الحلقات مثل حلقة المعلم محمد السحيمي بعنوان دعوة للتسامح والتي تحمل مضموناً عن قضية شخصية للمعلم الذي حاربته قوى التطرف والتكفير لأنه اختلف معها»[17]. من هنا يجب أن يعرف السدحان والقصبي أنه في الحقيقة ليس هناك من يقف في صفهما عندما يكونان جادّين.

5- حلقة «صالون الهيئة»

بعد أن انتقد مسلسل طاش معظم الأجهزة الحكومية الأمنية والصحية والاتصالات والتعليم، جاءت حلقة صالون الهيئة التي هدفت إلى نقد جهاز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووقوع بعض موظفيه في أخطاء مثل الغلظة والشدة وترصد الأخطاء وسوء الظن، لكن القائمين على هذا الجهاز لم يسمحوا لهذه الحلقة بالظهور، علماً أن أي مشاهد يستطيع وبكبسة زر أن يشاهد الحلقة كاملة على أحد المواقع الإلكترونية، أو يمكنه أن يستعيرها من صديق وصلته الحلقة كما في سيرة كل حلقة ممنوعة لا تلبث أن تنتشر بين الناس، وتزيد حمى مشاهدتها، ويزداد عدد مشاهديها عمّا لو كانت عرضت في التلفزيون.

---

(17) الرياض، 16-10-2005م.

«من المعروف أن التلفزيون قد قام بمنع حلقات من أجزاء سابقة لطاش إلا أنها انتشرت بعد ذلك ويتداولها الناس وتقوم بعض محلات الفيديو ببيع نسخ منها بالخفاء»[18].

مَنْعُ بعض الحلقات من البث يزيد محبي طاش ثقة بوطنيته وبأنه مسلسل للمواطن وليس للحكومة، والناس يحرصون على الحصول على الحلقات الممنوعة ومشاهدتها. «الآلاف ينسخون حلقة صالون الهيئة بعد تسريبها من الإنترنت كاملة»[19].

فتوى التحريم

في السنوات المبكرة لعرض المسلسل، كانت اعتراضات المتشددين تنصب عليه وتنتقده بنبرة متصاعدة على «أنه نوع من الاجتراء على طهارة هذا الشهر الكريم الذي يفترض بأنه شهر للصوم والإكثار من النوافل كصلاة التراويح والقيام وقراءة القرآن وبدلاً من أن ينشغل الناس بكل هذا، ينشغلون بالحديث والضحك على ما جاء في طاش ما طاش، ويشجع على تساهل المسلمين في القيام بواجباتهم الدينية بسبب الحرص على مشاهدته، بل إن بعضهم رأى أن الضحك وخاصة في رمضان سلوك لا يتوافق مع سلوك المسلم القويم، وأن رسول الله لم يكن يضحك إلا تبسماً ولهذا فإن هذا الضحك الذي يثيره

(18) جريدة الرياض، 23 رمضان 1424هـ/ 18 نوفمبر 2003م.

(19) جريدة الوطن، 29-9-1427هـ.

طاش ما طاش في رمضان تعدٍّ على المحرمات»، وضمن هذا السياق المتذمر من حضور طاش ماطاش، انتقد الداعية السعودي الشيخ سلمان بن فهد العودة المسلسل السعودي «طاش ما طاش» مؤكداً أن الاستهزاء بالدين والقيم الدينية والسنّة (كفر) مصداقاً لقوله تعالى: «لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم» لكنه قال: «وأما الاستهزاء بالمتدينين فهو أمر معيب ويؤاخذ عليه صاحبه، وهو درجات أيضاً»، وشدد على «أن رمضان يعتبر شهراً مقدساً له خصوصية، الأمر الذي يستلزم مراعاة هذا الجانب لدى المتلقي من القنوات، والمنتجين للبرامج الفضائية أيضاً»[20].

البعض يعتبر أن المسلسل «تجاوزٌ وافتراء على الوطن والحدود والأعراف والأخلاق»[21]. وآخر يرى «بأنه يتخذ من محاربة الإرهاب ذريعة للخوض في أمور دينية حساسية حتى تحول محاربة وتعرية الإرهاب إلى النيل من الدين ومظاهر التدين»[22].

والبعض رأى أن تعرّض طاش لنقد المجتمع علناً، يمثل فضحاً مكروهاً للمجتمع السعودي يراه كل الناس في القنوات الفضائية «طاش يعرض عبر قنوات عربية صورة غير حقيقية للمواطن السعودي المسلم كاشفاً بعض العيوب التي بالإمكان

---

(20) سلمان العودة، موقع إسلام اليوم.
(21) سلطان الجوفي، النخبة، 5-9-2006م.
(22) صالح السليمان، 13 رمضان 1427هـ/ 4-10-2006م.

معالجتها بأسلوب إصلاحي بعيداً عن نشر الغسيل أمام الآخرين ممن تسرهم الشماتة بالمواطن أياً كان موقعه»[23].

و«بحكم أن البيئة الفكرية القارة والتقليدية لدينا لا تتسع لمساحة تضم آراء وتوجهات وأفكاراً مختلفة ومتنوعة فإنها كردة فعل طبيعية اصطدمت بتأثير طاش ومشاركته في الجو وسعة تأثيره مما جعلها تندب نفسها، وبتجييش إيديولوجي ضخم، ضد هذا العمل الذي لا تشابه ظروفه غيره من الأعمال. فهو من ناحية يُقدم من خلال عمل فني مما يعطيه سلبية وإيجابية، الإيجابية هي في كونه قادراً على الوصول إلى الناس بيسر وسهولة مما يعني قوة في التواجد والحضور، أما السلبية فتكمن في أن هذه البيئة ذات صوت واحد منفرد»[24].

قدح الشرر على مدى ثماني سنوات، أسفر عن معركة التحريم الكبرى التي جاءت كما وصفتها الفتوى تجاوباً مع الشكاوى وردّ فعل لها.

ففي الجزء الثامن من عمر المسلسل وفي سنته الثامنة، وبعد سبعة أيام من عرض المسلسل وفي تاريخ 7/ 9/ 1421 هـ الموافق 23 ديسمبر 2000م، صدرت فتوى من هيئة كبار العلماء بعنوان «بيان من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بشأن

---

(23) أحمد العقلا، محامي يرفع قضية ضد مسلسل طاش ما طاش 20-10-2006م.

(24) عبدالله المطيري، الوطن 2-9-1426هـ.

تحريم المسلسلات المخالفة للشرع المطهر ومنها مسلسل (طاش ما طاش)» تقول «إنه نظراً لكثرة التشكيات والاستفتاءات على مدى سنوات متواليات من عام 1416 هـ إلى عام 1421 هـ بشأن مسلسلات (طاش ما طاش) لما فيها من مخالفات للشرع المطهر والآداب والقيم، فإنه يحرم إنتاج هذه المسلسلات وبيعها وترويجها وعرضها على المسلمين» [25].

ثم تتوسع في شرحها لمسوغات التحريم على عدة أمور هي:

1 - السخرية بأهل الخير والصلاح وإلصاق المعايب بهم.

2 - خروج المرأة مع الرجال الأجانب وما يتبع ذلك من اختلاط وتبرّج وسفور وخضوع بالقول وغير ذلك.

3 - العمل على توهين الأخذ بأحكام الشرع المطهر والترغيب فيما نهى عنه كترك الحجاب وإبداء الزينة للأجانب وقيادة المرأة للسيارة والسفر إلى بلاد الكفر وإلى البلاد التي تشتهر بالرذيلة وتحارب الفضيلة.

4 - لمزه المتصفين بالغيرة على محارمهم ونسائهم.

5 - إثارة الشهوات في مشاهد بشعة تقتل الحياء وتقضي على العفة.

---

(25) فتوى تحريم طاش ما طاش، الرقم: 2185 التاريخ 7-9-1421 هـ، انظر الملحق.

6 - القيام بأفعال رعونة وسخرية كالتزيي باللحى المصطنعة ونحوها.

7 - تناول عادات بعض البلدان والمناطق ومحاكاة لهجاتهم على وجه التحقير لأهلها وإظهار معايبهم[26].

اشتغل المجتمع السعودي في اليوم التالي بتداول فتوى تحريم طاش ما طاش وتداعياتها، وتجاوب مع هذه الفتوى فئة من الناس وجدوا فيها ما يتفق مع قناعتهم الشخصية وتوجهاتهم المتزمتة السائدة في التصدي لكل ما هو محرّم من وجهة نظرهم كالموسيقى والفن والرسم والمسرح والعمل على نشر ثقافتهم التحريمية بين الشباب، كما استسلم لها آخرون بسبب تقديسهم لكل ما يصدره شيوخهم الثقات والإيمان بما يجيء في فتاواهم، والعمل بهذه الفتاوى والدعوة إليها. فئة أخرى تبنوا هذه الفتوى بالتبعية كنوع من التبني الأعمى مقرّين بصحتها دون جدال، داعين إلى تحريم طاش ما طاش على الرغم من أن بعضهم لم يشاهده ولم يحرص على معرفة ما به. حتى أن كبير المفتين بحرمته وأول من تصدى لتحريمه، الشيخ البراك، هو كفيف البصر، وقد اعترف بأنه لم يشاهد المسلسل وإنما أفتى اعتماداً على ما نقله الآخرون له، بقوله: «ومن هذا الباطل

---

(26) فتوى تحريم طاش أنظر الملحق
http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=260&itemid=25

المسلسل المعروف بـ «طاش ما طاش» وقد أفاد المتابعون له لرصد مضامين حلقاته أنه يشتمل على أنواع من المنكرات» كما اشتملت فتوى هيئة كبار العلماء على عبارة «بناء على نصح الناصحون»!.

«بعض الذين انتقدوا طاش اعترفوا أنهم لم يشاهدوه بل اعتمدوا على وكالة «يقولون»، هذه الوكالة التي لها مواقف مع كل ما يُعرض في قنواتنا المحلية بالنقد والإثارة ضدها، ولها موقف من كل ما يُنشر في صحفنا المحلية، موقفها هو تقديس بعض العادات والتقاليد والمحافظة والدفاع عنها، رغم أنها عادات وليس عبادات»[27].

الجدير بالذكر أن هذه الفتوى سبقتها فتوى الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك وهو أكبر شيخ والأعلى مرتبة في سلم الحركة السلفية بتحريم المسلسلات التلفزيونية وخص بالذكر طاش ما طاش، وقال «وإني لأدين لله بتحريم تمثيل ومشاهدة هذه المسلسلات والتي منها «طاش ما طاش»».

«البعض يهاجمون طاش على طريقة مع الخيل يا شقرا فهو يهاجمه ليساير آراء الآخرين»[28].

انتشرت الفتوى انتشار النار في الهشيم. وفي اليوم التالي لصدورها، تطوع جيش التيار المتشدد، الذين جاءت الفتوى

(27) أحمد عبدالله العجمي، الرس، الوطن، 5-10-1424هـ.

(28) وليد السريحي، جريدة اليوم، رمضان 2003.

تجاوباً مع نشاطاتهم وجهودهم الحثيثة في محاربة طاش، بتوزيع صور الفتوى في كل مكان، في المساجد، والمدارس الحكومية والأهلية، والشوارع، والطرقات، والمجالس، والجامعات والدوائر الحكومية، وحتى في المقابر، وصرف على طباعتها من التبرعات الخيرية، والصدقات، وساهم جنودهم من معلمي المدارس في توصيل وشرح ما جاء فيها والتذكير بها في مطلع كل رمضان من كل سنة. ذكر أحد مدراء المدارس في مدينة الرياض أن متطوعين ملتحين يقفون بباب مدرسته في صباح اليوم الأول من رمضان كل عام، يحملون صناديق كرتونية ممتلئة بمنشورات تتضمن فتوى «تحريم طاش ما طاش» ويطلبون التعاون معهم بتوزيعها على الطلبة تحت دعوى أنشر تؤجر.

وفي اليوم التالي لظهور الفتوى، وقع الناس في بلبلة عظيمة.

ساهمت مواقع الانترنت بتنشيط فتوى تحريم «طاش» فنشرت الأقاويل والإشاعات حولها، وتمتع كتّاب المنتديات بنشر آراءهم على سعتها وسخريتها وحدّتها، بحرية كاملة تضمنها لهم كتابتهم في هذه المواقع بأسماء مستعارة.

«أثارت منتديات الانترنت هجوماً كاسحاً ضد أبطال المسلسل ومخرجه ومؤلفيه»[29].

(29) القبس، 10-9-1424هـ.

لقد أثار هذا الصدام بين مؤسسة دينية ذات وزن كبير حكومي وشعبي وبين عمل فني يبث من قناة تلفزيونية حكومية فضول الكثير من المتابعين لهذه التداعيات، كما أثارت حيرة آخرين لا يدركون الأبعاد التي يمكن أن تترتب على هذا الصدام الذي لو وقع ضد حالة أخرى لكان من المتوقع أن تكون كلمة هيئة كبار العلماء حاسمة ولن يتردد في الأخذ بها، لكنها ولأول مرة في حالة طاش ماطاش بدت محيرة فهل يتم إيقاف مسلسل طاش ماطاش بعد ثماني سنوات من عرضه وبعد أن أصبح له جمهوره عريض من كافة الشرائح والفئات، أم يتم ولأول مرة تجاهل فتوى شيوخ المجتمع ممن يدين لهم كامل المجتمع بالسمع والطاعة، ويثير في الوقت نفسه سخط المتشددين الذين لا يتوانون لحظة عن الوقوف بجانب أحكام الحلال والحرام.

لم يسبق أن ظهرت فتوى صادرة من هيئة كبار العلماء دون أن تعتبر ملزمة، كما أن تاريخ الفتاوى في المجتمع السعودي للذين عرفوه لا يسمح بمناقشتها أو التصدي لها أو معارضتها.

بل إن الحكومة كانت تستعين بسلطة فتوى هذه الهيئة لتمرير كثير من القرارات الحكومية الحرجة، أو لتنهي جدلاً دائراً، كما حدث في قضية الاستعانة بالقوات الأجنبية في حرب الخليج الثانية عام 1990.

أثير سؤال كبير بين الناس في الأيام القليلة التي تلت

انفجار قنبلة «تحريم طاش ما طاش»:

- هل سيتم وقف مسلسل طاش ما طاش بجماهيريته التي حصدها خلال السنوات الثماني الماضية؟! «وبعد أن أصبح طقساً رمضانياً شهيراً يشبه طبق اللقيمات وشراب الفيمتو على مائدة الفطور الرمضانية السعودية».

اعتبر البعض أن هذه الفتوى رمز لحرب بين الحكومة وعلماء الدين، وليس بين أبطال المسلسل والمتدينين، وأن نتائج هذه الحرب ستحسم لصالح من يفوز في هذه المعركة (معركة تحريم طاش ما طاش).

- هل سيتنازل التلفزيون السعودي عن كعكته الذهبية التي أكسبته حظوة لدى مشاهديه، وجعلته يكسب مشاهدة عريضة من جمهوره السعودي حتى وسط الحرب الفضائية الشرسة بعد أن عزف عنه طوال أيام السنة؟. وهل سيتنازل التلفزيون السعودي عن المكاسب المادية التي قيل «إنها بلغت الثلاثين مليوناً. ومن المعلن السعودي الذي اقتنع بأن هذا المسلسل السعودي يستحق التضحية بهذا المبلغ؟!!!» [30].

انتشرت هذه الأسئلة المحيّرة بين الناس حتى أن منتجي العمل أنفسهم كانوا لا يعرفون إن كان سيستمر عرض حلقات مسلسلهم طاش ما طاش في اليوم التالي للفتوى كما هو مخطط له أم لا؟

---

(30) جريدة اليوم، 25-9-1426هـ الموافق 28-10-2005م.

في اليوم التالي لصدور الفتوى وبعد النقل الحي لأذان وصلاة المغرب من مكة، في التلفزيون السعودي القناة الأولى وفي الوقت المحدد لبث المسلسل، نزلت شارة المسلسل وأغنيته الشهيرة: طاش ما طاش! والتي يقول مطلعها: هلا بطااااااش.

معركة الانشقاق

بعد أن أقدمت الهيئة العامة للإفتاء لكبار العلماء على تحريم «طاش ما طاش» بسبب انتقاداته اللاذعة للتدين. تجاهلت الحكومة المسألة وآثرت الاستمرار، إذ فضّلت التغاضي عن الفتوى حفاظاً على أرقام المشاهدة القياسية التي يحصدها المسلسل [31].

منعت الحكومة نشر الفتوى في اليوم التالي لصدورها في الصحف في مخالفة صريحة لما درجت عليه فتاوى الهيئة العامة لكبار العلماء، حيث يجب نشرها على صدر الصفحات الأولى في الصحف حال صدورها والتعليق عليها، في إشارة صريحة بأنها لا تلزم الحكومة في شيء. لكن بقي السؤال: هل تلزم الناس؟!

فاز مسلسل طاش ما طاش بالمعركة الأولى في حربه ضد القوى المناهضة لحرية التعبير.

---

(31) باسكال مينوريه، الحوار المتمدن، العدد 951، 9-9-2004م.

هذه النتيجة رفعت من نجومية المسلسل وزادت من شعبيته بين الناس. «زاد البيان/الفتوى، الذي تم توزيعه، من جماهيرية طاش، وأصبح المنتج الذي يشد انتباه المشاهد السعودي للقناة الأولى في التلفزيون السعودي والتي كانت بدورها مستفيدة من الأموال التي تحصدها من الإعلانات الراعية للمسلسل، وهكذا أصبح المسلسل في حماية ورعاية وزارة الإعلام في ظل المعارضة المستمرة»[32].

«سيل الانتقادات التي يواجهها كل عام السدحان والقصبي تؤكد بلا شك أنهما مثيران للجدل وأنهما على قمة هرم الدراما السعودية»[33].

لم يكن سهلاً على الوجدان السعودي تخطئة أو نقد أو تفنيد فتوى مختومة بأسماء أربعة من كبار هيئة العلماء بسبب مسلسل يأتي مرة في السنة ويثير صراعاً نفسياً لدى مشاهديه. «طاش لم يعد عملاً درامياً بل أصبح جزءاً من الحالة السعودية التي تتعامل مع الأشياء بمنطق القبول المطلق أو الرفض المطلق ولا شيء بينهما»[34].

لذلك امتنع البعض عن مشاهدته، وشاهده البعض ونفسه تلومه. «بعضنا أعجز من أن يعترف أنه أصبح مدمناً على

---

(32) حليمة المظفر، جريدة الشرق الأوسط، 15-10-2005م.

(33) جريدة الرياض 10-9-1324هـ.

(34) هيا المنيع، الرياض 24-9-1424هـ.

طاش. ممزق بين اللهفة واللعنة كالنظرة التي تبقى لدى البعض المكابرة والرغبة في رجم المصابيح النيرة حتى لا نرى التشوهات الدمامل فتلك هي وظيفة الفن»[35].

هذه النتيجة الصادمة، سمحت لجمهور طاش ما طاش بالانشقاق حوله كرمز لانشقاق اجتماعي عام، لم يُعهد سوى في قضايا الكرة والأندية المحلية وليس حول فتوى صادرة عن هيئة كبار العلماء، تسبب بها مسلسل تلفزيوني!

استمر عرض المسلسل حتى بعد فتوى التحريم، إلا أن الصحافة فضّلت أن تلتزم الصمت وعدم التعليق على الفتوى أو المسلسل. إما بحسب توجيهات حكومية تحرص كعادتها على عدم صب الزيت على النار، وإما لأنه لم يكن متوقعاً أن تتصدى الأقلام لفتوى صادرة من الهيئة العامة لكبار العلماء بسبب الاحترام الشديد لهذه الهيئة، أو بسبب الخوف من سطوتها والتعريض بهم إن فعلوا. كما أن معظم رؤساء التحرير فضلوا تجنب إيقاع أنفسهم في هذا النوع من المهالك التي لا يعرف سوى الله أين تذهب بهم، فهم يعرفون أنهم قد يتعرضون لمنع صحفهم من الصدور أو سحبها من السوق كما حدث مع جريدة الحياة التي تطبع خارج السعودية، حين مُنعت من الدخول ذلك اليوم بسبب تعرضها لنشر خبر عن مسيرة أربعين رجلاً إلى وزارة الإعلام تطالب بوقف المسلسل.

---

(35) صالح الشهوان الاقتصادية، 21 شوال 1427هـ/ 13-11-2006م.

«رغم وضوح الموقف الحكومي من مسلسل طاش ما طاش ممثلاً بوزير الإعلام الذي سمح ببث المسلسل، وعدم الرضوخ لما جاء في الفتوى، إلا أن كتّاب الرأي في الصحف لم يجرؤوا على التعليق أو الدعم أو الإشارة إلى ما جاء فيها، وإن بقي أحدهم على موقفه الداعم لمسلسل طاش ما طاش وما يعرض فيه من قضايا فدون الإشارة للفتوى!»[36].

«غطست الصحافة في صمت مطبق. بانتظار النتيجة لم يكن مسموحاً الحديث عن الفتوى والمحاججة والتفنيد حتى مرت عليها سنوات وأدرك الناس أنها لم تعد فاعلة ويمكن نقد ما جاء فيها»[37].

الصمت حيال فتوى تحريم طاش ما طاش في السنوات الأولى من صدورها حتى من فئة المفكرين، والمثقفين، والمسؤولين، يمكن تفسيره تحت عنوان عريض اسمه «الخوف»، فحتى تلك السنوات لم يكن بالسهل التصدي لأهم وأكبر تيار مجتمعي ظل يسيطر بتوجيهاته وسلطته وشرعيته داخل المجتمع السعودي، ومن جانب آخر كان المسؤولون في الدولة يشجعون ويحرصون على منع حدوث هذه المواجهة والتحريض على الفتوى.

---

(36) ممدوح المهيني، مرجع سابق.

(37) ناصر الرابح، حائل - مشرف تربوي، جريدة الجزيرة، 12 رمضان 1424هـ/ 7-11-2003م.

معركة التشهير

خالفت هزيمة المعارضين لطاش ما طاش حساباتهم، رغم رفعهم شعار حراسة الدين والفضيلة والذود عن المحارم، وبينت خطأ توقعاتهم وصعّبت طريقهم الذي عادة لا يقف أمامهم فيه أحد، بل إن خسارتهم تلك جعلت بعض الناس يشكّكون في قوّتهم وسلطتهم، وعرضتهم لشماتة مخالفيهم ومنتقديهم الذين جُبلوا على كتم غيظهم خوفاً من سطوتهم، بل وفتحت عند البعض باباً للسخرية منهم، وما كان هذا ليحدث لولا هذا المسلسل المخالف «طاش ما طاش».

لم يقبل جيش المعارضة وقوى مناهضة التغيير في المجتمع السعودي بهذه السابقة، سابقة أن تهزم فتوى دينية صادرة من أعلى هيئة دينية على يد أكثر فئات الناس في نظرهم ضعفاً وافتقاداً للشرعية الدينية، من الممثلين الذين لا يزالون حتى وقت قريب محل عدم احترام، ويشاع عنهم مثل معظم أوساط، أنهم وسط بلا أخلاق، وسط يظنه الناس مليء بالفسوق والرذيلة. واعتبروا خسارتهم في هذه المعركة الأولى لا تعني إطلاقاً خسارتهم للحرب.

قرر معارضو طاش ما طاش أنهم ما داموا لم ينجحوا في شل تأثير طاش ما طاش بفتوى لهيئة كبار العلماء، فلن يستسلموا! فهم وإن فشلوا مبدئياً في إبطال مفعوله بفتوى كان يمكن لها أن تهز البلاد بأكمله، فإنهم قادرون ولا شك على قضمه ونهش أعضائه قطعة قطعة. هم يعرفون مدى تغلغلهم

داخل المجتمع السعودي، ومدى سيطرتهم على المنابر في المساجد وعلى بعض الصحف وجيوشهم من طلبة علم ومعلمين نظاميين ينتشرون في أهم قطاع مجتمعي هو قطاع التربية والتعليم، وهؤلاء يعتبرون أن إلغاء الدرس في رمضان وتحويله إلى عظة دينية تندد بطاش ما طاش وتحذر من أخطاره واحد من أهم الأهداف التربوية النبيلة.

أخذ المريدون لتيار الصحوة ينشرون كل ما يمكن أن يصد عن متابعة هذا المسلسل فنشر منتدى «صيد الفوائد» دراسة مطولة لشيوخ معروفين جاء فيها: «نصيحتنا للمعِدّين (للمسلسل) أن يتوبوا ويمنعوا نشره وإذاعته على جمهور المسلمين، كما ننصح كل مسلم غيور أن يمنع أهله وولده من مشاهدة هذا البرنامج (طاش ما طاش).. لتسلم العقائد من الانحراف، ولا يعلق بأذهانهم شيء من الأفكار الرديئة التي تولدها تلك الكلمات والجمل الساخرة»[38].

استمرت منشورات تحريم مسلسل طاش ما طاش على مدار السنوات التالية تُطبَع في مطلع كل شهر رمضان وتُوزَّع في المساجد والمدارس بأعداد هائلة دون اعتراض من الحكومة، ودون أي تدخّل يمنع توسعها، كما أن كل خطبة أو دعاء لا يخلو من الدعاء والتحريض على أصحاب المسلسل ومسانديه.

---

(38) رويتر.

قرر أئمة المساجد في شهر رمضان أن يساهموا في الحرب على طاش ما طاش نصرة لعلمائهم وفتواهم المنهزمة، بالدعاء على المسلسل، وتتجاوب شبكات الانترنت في الأخذ والرد بما جاء في العظات وما جاء في حلقات طاش ما طاش.

أصبحت معاداة فريق طاش، واستهجان كل ما يفعلونه عند أصحاب هذا التيار، عرفاً اجتماعياً اسمه «رهاب طاش». «هناك من سمع بتصوير فيلم سينمائي في منطقة الوشم مما حدا بهم لرفع شكوى لإمارة الرياض متهماً إيانا (فريق المسلسل) بفساد الأخلاق وغيرها من التهم التي لا تخفى عليكم»[39].

كتب الحساني في مقال له: «صليت أول جمعة من رمضان فسمعت الخطيب يزيد على ما جاء في الفتوى بأن المسلسل كله بما في ذلك حلقة المحرم هو من الأعمال التي تكفر القائمين عليها وأن من سره مشاهدتهم فهو آثم مثلهم»[40].

لم يكتفِ التيار الصحوي بكل ما سبق بل قام بعضهم بمظاهرة، رغم موقف الحكومة السعودية من المظاهرات والمسيرات، من أربعين رجلاً ساروا حتى مبنى وزارة الإعلام منددين بعرض مسلسل طاش في القناة الأولى للتلفزيون

---

(39) عبدالله السدحان، في رسالة موجهة للمحرر الفني، جريدة الرياض، 23-7-2003م.

(40) محمد الحساني، عكاظ، 10-2-1424هـ.

السعودي، وطالبوا بإيقافه بسبب ما جاء في حلقة «بدون محرم»

«ففي اليوم الرابع من رمضان عام 2003م، انطلقت مظاهرة صغيرة مكونة من 40 فرداً، اتجهوا للمبنى الرئيسي للتلفزيون بالرياض مطالبين بالصوت العالي حجب المسلسل بعد عرض حلقة بدون محرم التي تتحدث عن معاناة المرأة السعودية مع شرط وجود الولي في كل شأن خارج المنزل ابتداء من دخول محل لأشرطة الفيديو وانتهاء بمراجعتها لمؤسسة حكومية. وحين يداهم منزلهم لص فيتردد الشرطي من دخول البيت لتسجيل الحادثة بسبب غياب ولي الأمر» [41].

وقد تم منع جريدة الحياة التي تُطبع خارج السعودية، في اليوم التالي من الدخول بسبب نشرها لهذا الخبر.

تبنّت المدارس أنشطة توعوية تحرص فيها على تمرير حرمة مشاهدة طاش ما طاش. وذكر بعض الكتّاب في مقالات لهم عن أطفالهم الذين يعودون من المدارس إمّا حائرين أو دامعين بسبب عظة غليظة ستحرمهم ذلك المساء من مشاهدة طاش ما طاش، ويعاني الأطفال صراعاً بسببها ليس فقط لخسارتهم المتعة والابتسامة التي يحصلون عليها من مشاهدة طاش ما طاش، بل لأنهم سيعانون من الغربة مع أقرانهم الذين

---

(41) حليمة مظفر، الشرق الأوسط، 15-10-2005م.

لا حديث لهم في رمضان سوى نوادر طاش ما طاش وتقليد شخصياته وترديد قفشاته.

(قال ابني إن المعلم قال لنا اليوم: «يجب أن لا تشاهدوا مسلسل طاش ما طاش»)[42].

«مدرسة في منطقة حائل استضافت أحد الدعاة فوجه له أحد الطلاب سؤالاً عن طاش ما طاش، فقال: إن طاش محرّم ولا تجوز متابعته لأن فيه استهزاء بالدين وأهله وسخرية من أهل الخير والصلاح وإثارة للشهوات والدعاية للبلاد التي تظهر فيها شعائر الكفر، مما أثار جدلاً حاداً كاد أن يتأزم بين المعلمين المعترضين على أن هذه الإجابة ستباعد بين الطفل ووالديه الذين سيصبحون بعد هذه الإجابة في نظرهم (أي الأطفال) من مرتكبي المحرمات المتمثلة في مشاهدة طاش ما طاش. وقد دافع الفريق الثاني عن الفتوى بحجة أنها فتوى معروفة وليست جديدة على المجتمع وصادرة من جهة رسمية معترف بها ومتخصصة في مجال الفتوى» [43].

«الحملات في المساجد خلال السنوات الماضية صارت تتحول من الدعاء على اليهود والأمل باسترجاع فلسطين إلى الدعاء على عبدالله وناصر بعد أن حولتهما الأقلام المتعصبة إلى فرعون وهامان هذا الزمن» [44].

---

(42) إلهام أحمد، جريدة اليوم، 11-9-1427هـ.

(43) خضير الشريهي، جريدة الحياة، 24 رمضان 1426هـ/ 27-10-2005م.

(44) فهد سعود، مجلة إيلاف الإلكترونية، 30-9-2006م.

تجاوب شيوخ الدين في الكويت مع فتوى تحريم طاش. «ناظم المسباح يحذر تلفزيون الكويت من عرض مسلسل طاش ما طاش. وقد قال للقبس بأن ما جاء في حلقة المحرم يقع في خانة الكفر»[45]. «التنديد من التيار الأصولي بعرض حلقة بدون محرم في تلفزيون الكويت»[46].

جريدة السياسة الكويتية تتناول أخبار طاش ما طاش وبعض كتّاب الكويت ينوهون ويشيدون به في مقالاتهم[47].

تصاعدت الحملة ضد طاش من قبل تيار المتشددين، وأصبح كل منهم يعبّر عن عداوته للعمل قدر طاقته. ففي السنة الرابعة عشرة أخذ أحد المحامين يستنهض الهمم بإرسال رسائل عبر الهاتف المحمول يدعو الناس لتوكيله برفع دعوى حسبة ضد طاش ما طاش في أول سابقة درامية «رفع دعوى حسبة ضد طاش ما طاش» بتهمة أنه ينقل صورة سيئة عن المجتمع. رُفِعَت الدعوة ضد حلقتين هما توت بيروت، وسور الحريم. الأولى تصور ثلاثة سعوديين ذهبوا للسياحة في لبنان ودعاهم جارهم اللبناني لحفلة عائلية ذهبوا إليها دون زوجاتهم، اثنان منهما شربا الخمر ووقعا في مشاهد كوميدية والثالث بقي ممتنعاً يتصبب عرقاً من شدة الحرج. وسور الحريم تبين مدى

---

(45) القبس، 15-9-1424هـ.

(46) الطليعة، 20-9-1424هـ الموافق 15-11-2003م.

(47) حسن القيسي، القبس 17-9-1424هـ/ 12-11-2003م.

التشدد الذي راح المجتمع السعودي يضيّق به على المرأة في كل مناحي حياتها حتى أن بعض المتشددين طالب وحقق فكرة فصل المدينتين بجدار يفصل بين النساء والرجال ولا يسمح بمقابلتهما إلا للتزواج فقط.

ثم «قامت مجموعة من الهاكرز بتدمير موقع طاش على الشبكة الإلكترونية كردة فعل واضحة على ما قدمه القصبي والسدحان من حلقات وصفها المهاجمون بالتافهة والتي تسيء لشريحة من المجتمع بدون وجه حق، بل إن حلقة الرفاه والبنين كانت القشة التي قصمت ظهر البعير»...

معركة التحريض على القتل

فجرت أحداث العاشر من سبتمبر جدلاً عارماً في الذهنية السعودية التي انعكست آثارها على الحوار القائم في الصحف «لتظهر الأسئلة بعد تورط خمسة عشر سعودياً في أحداث الهجوم على بنايتي التجارة العالمية في نيويورك، سؤالها المفصلي يقول: هل حقاً لدينا فكر تكفيري يشجع على قتل المختلف وهل تتحمل ثقافتنا مسؤولية واضحة فيما حدث»؟

في الإجابة على هذا السؤال ظهر تياران: الأول ينكر مسؤوليتنا بل ويشكك في أن من ظهر تورطهم من مرتكبي أحداث العاشر من سبتمبر هم الفاعلون الحقيقيون وأن من قام بهذا العمل هم رجال الاستخبارات الأميركية وبعضهم قال

اليهود، «الصهاينة فقط هم المستفيدون من الحادي عشر من سبتمبر ولذلك فإنه لا بد وأن تكون أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية وراء تدبير تلك المؤامرة» [48].

والتيار الآخر قال بأن ما حدث لم يكن سوى نتاج لتنامي فكر ظهرت طلائعه منذ الحرب الخليجية الثانية (حرب تحرير الكويت) عام تسعين وأن هذه واحدة من تداعياته وأن أول العلاج هو الاعتراف بوجود هذا الفكر ومواجهته والتصدي له. لكن هذا التيار ظل حتى الحادي عشر من سبتمبر، ضعيفاً ومنكراً وغير معترف به، بل واتهم في مواضع كثيرة بعمالته للغرب وللكفار، ورغبته في تغريب المجتمع وسلخه عن قيمه حتى انتقلت حرب هذه القوى إلى الشوارع السعودية.

بعد حرب التكفير في السعودية جاء دور حرب التفجير، حيث أعلنت القاعدة وتحت شعار «إجلاء الكفار من جزيرة العرب»، والتي تعتبر حربها حرباً جهادية حتى ولو تسببت في قتل المسلمين من رجال الشرطة والمجاورين في الموقع. فانطلقت تفجيرات استهدفت المجمّعات السكنية بحجة احتوائها على كفار ونصارى غربيين، ثم تطورت هذه الحرب لتطال المؤسسات الأمنية كوزارة الداخلية والأمن العام لتصبح المعركة معركة انتقام وتصفيات تحمل ولاءً لفكر القاعدة وأتباعها يكفّر الدولة ويبيح التعدي عليها.

---

(48) مسؤول سعودي في تصريح له لجريدة كويتية، نيويورك تايمز 7-3-2004

هذه الظروف زادت من حرارة المواجهة بين معارضي طاش ما طاش وبين أصحاب المسلسل الذين اعتادوا تبنّي القضايا الاجتماعية ومواكبة الحدث، واستأثرت بعض حلقاته بموضوعات عن الفكر التكفيري والدموي، تكشف فيها وتتهم بأن هذا الفكر متغلغل في التعليم السعودي وفي بعض إداراته وأجهزته ومناهجه وإن حرص كاتب الحلقة على تأكيد أن ليس كل من تديَّن واتّقى هو إرهابي. بحيث جاءت هذه الحلقة صراعاً بين تيار متدين متنور يتقي الله ويتبع تعاليمه، شعاره التسامح والبر والدعوة بالتي هي أحسن، وتيار ظلامي يفسر الدين على هواه ويحتكر الحقيقة باسمه ويعادي العلم والتطور. (فهو مثلاً ضد تدريس اللغة الإنجليزية في المدارس بحجة أنها لغة الكفار) ويشجع على محاكمة الناس والتفتيش في ضمائرهم وتعقبهم والتلصص عليهم.

أتاح مناخ ما بعد الحادي عشر من سبتمبر مجالاً لعرض مثل هذه الحلقة التي ما كان لها أن تُعْرَضَ لولا هذه المجابهات الأمنية التي استخدم الفكر التكفيري رصاصه وقنابله داخل السعودية الآمنة، كما أتاح هذا المناخ الذي أطلق العنان لمناهضيه وأفسحت الرقابة لمقالاته مساحة كبيرة لتتصدى لهذا الفكر، فأصبحت المعركة بين تيارين يوصف الأول من معارضيه بالليبرالي والآخر يوصف من قبل معارضيه بالمتطرف المتشدد وكلاهما يدعو للوسطية.

بعد حلقة «واتعليماه» على سبيل المثال التي كانت صراعاً

بين طرفين من داخل التيار المتدين، واحد يدعو للتطرف والآخر يدعو للتسامح. هذه الحلقة أثارت زوبعة تتضح ملامحها أكثر وتقوى صولاتها وجولاتها في انشقاق التيار الواحد المتأسلم بين مؤيد للحلقة وعدو لها.

اتصل هاتفياً إمام مسجد من إحدى المدن الصغيرة، بأحد أبطال المسلسل يشيد بهذه الحلقة، ودعوتها للتسامح ويعتبرها جهاداً حقيقياً ضد فكر التكفير والتطرف ويذكر أيضاً أنه قد دفع ثمن موقفه يوماً بأن حطمت سيارته وتعقبه البعض بسبب عظته الدينية التي يدعو فيها للتسامح واحترام الآخر والبعد عن التكفير، في المسجد الذي يؤم مصليه.

تصاعدت الحملة الدينية على المسلسل بعد الحادي عشر من سبتمبر، وأحداث العنف زادت من سخونة قضايا مسلسل طاش ما طاش، الذي تبنّى نقد العنف بكل أشكاله الفكرية والأمنية، خاصة بعد التفجيرات، فتصدى طاش ما طاش لموضوع قضية المعسكرات الصيفية واختطاف الإسلاميين من المتشددين وأصحاب فكر التكفير لها، وتعرضوا لنقد الإرهاب ودعوات الجهاد المنفلتة، والقتل وتفجير المجمعات السكنية في الرياض والخبر وجدة. وكسب المسلسل تعاطفاً شعبياً ضد المخربين والقتلة الذين يتشحون بوشاح الدين ودعوة الجهاد، خاصة بعد حلقة بعنوان «وتبقى الحياة» التي تعرضت لتفجير مبنى الأمن العام في مدينة الرياض 2002م وراح آلاف الناس يتعاطفون مع طروحات طاش في الحرب على الإرهابيين ونبذ

دعواهم، «تبرع أحد المواطنين لطاقم طاش ما طاش براتب شهر من وظيفته»[49] دعماً له في التصدي للإرهاب.

بالمقابل ظهرت آراء متطرفة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تتبنى أفكار القاعدة، وتدعو لشيخها أسامة بن لادن. أصحاب هذا الفكر يؤيدون عمليات التفجير التي تمّت في السعودية ويرون أن منفذيها أبطالٌ وإن أخطأوا الطريق، وأن الدعاء لهم بالهداية هو الحد الأقصى لنقطة الخلاف معهم. أما خطباء وأئمة المساجد الذين لم يترددوا في الدعاء على أبطال طاش ما طاش بالويل والثبور فقد تجاهل بعضهم، وسكت البعض الآخر، عن تجريم الذين قاموا بهذه الأعمال الإرهابية أو الدعاء عليهم بدعوى أنهم خطاة ظلوا الطريق وسمّوهم بـ«الفئة الضالة» وليس كما يفعل هذا المسلسل التخريبي الذي يسمّيهم «إرهابيين».

المتأثرون بفكر القاعدة وقائدها أسامة بن لادن، الذين شجعوا حركات الجهاد المحلية ساهموا في وضع استراتيجية جديدة للتخلص من ضجيج وإزعاج هذا المسلسل، وذلك عن طريق توجيه دعوة للمطارَدين ضمن قوائم المطلوبين أمنياً بأن يتبرعوا بتصفية فريق المسلسل كحل نهائي يخلصهم من شرورهم. وزيادة في تسهيل العملية وضع أحد المنتديات على صفحات أحد مواقع الشبكة الإلكترونية رسماً وصفياً يبيّن

(49) جريدة الرياض، مرجع سابق.

الطريق إلى منزل أحد أبطال المسلسل لإرشاد الراغبين في الوصول إليه!

«في بعض المنتديات وصل الأمر بالمعارضين إلى حد وضع خريطة لمنزل الفنّانَيْن القصبي والسدحان بهدف «تأديبهما»».

«مسلسل طاش ما طاش يتلقى التهديدات وإدراج اسم ناصر القصبي ضمن قوائم التصفية في مواقع الإنترنت»[50].

أطلقت الفتوى التي صدرت يوم الأربعاء الخامس من رمضان، ونشرها موقع «نور الإسلام» والذي يشرف عليه الشيخ محمد الهبدان، موجة تهديدات صريحة بالقتل والاغتيال ضد فريق طاش. نشر بعضها موقع الهبدان أسفل الفتوى، وكتب فيها من رمز لنفسه بالشهيد من القصيم بقوله: «سوف ترى مايسرك - ياشيخ - قريباً عمليه انتحارية، ضد ممثلي طاش الفساد، وسوف يستريح منهم العالم». ولم يحذف الموقع هذا التهديد، رغم حذفه لبعض التعليقات التي انتقدت الفتوى.

كما أن موقع الساحات الإماراتي الذي يشرف عليه الإماراتي طارق بن فارس، نشر تهديدات باغتيال فريق طاش

---

(50) معتوق الشريف، جريدة عكاظ، 12-9-1425
رابط الفتوى:
http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=260&Itemid=25

من السعودي حسين الشريف بقوله: «لا بد من إحياء سنّة الاغتيال فقد طفح الكيل»[51].

لم تكن الدعوة بالقتل لأبطال طاش ما طاش دعوة جديدة على تيار التطرف والإرهاب في المجتمع السعودي، كما لم تكن حادثة تجريم مسلسل تلفزيوني السابقة الأولى لدى أنصار هذا التيار، لكنها الحادثة التي لقيت شهرة ورواجاً واسعاً بسبب شعبية المسلسل، فقد سبقت تلك الدعوة دعوات كثيرة حللت دماء كتّاب وحرمت تداول كتبهم وكان على رأسهم الكاتبان غازي القصيبي وتركي الحمد. وظلت حوادث التحريم والدعوة تدور في نطاق ضيق نسبياً، حتى جاءت حادثة تحريم طاش ما طاش تزامناً مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وقد ساهم ظهور الإنترنت في توسيع نطاق تلك الدعوات ونشرها.

معركة تأييد طاش ماطاش

وقف كثير من الكتّاب مع طاش المسلسل وطاقمه، وظهرت موجة التأييد لأفكار طاش ودوره النقدي وأعلن كثيرون دعمهم، بشكل كبير، إلا أن حملة التأييد هذه لم تقو وتكشف عن نفسها بشكل واضح إلا في السنوات الأخيرة، وبعد صدور الفتوى بسنوات، خاصة بعد أن تحقق عامل الأمان النسبي في عدم معارضتهم أو منع مقالاتهم، وبعد أن

---

(51) تهديد حسين الشريف من موقع الساحة:
http://alsaha.fares.net/sahat?128@87.OGCxgukDeSg.0@.2cc17c5c

أصبح تأييد طاش ما طاش لا يكلف ما كان قد يكلفه في السنوات الأولى، وأيضاً بسبب الانفراج الملحوظ في السقف الرقابي في الصحف بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

في السنوات الأخيرة من عمر المسلسل شعر الكثير من الكتّاب والقراء أنه يمكن قول ما لم يكن من الممكن قوله منذ سنوات. فتصدت كثير من الأقلام للدفاع عن أفكار طاش. والتصدي لمحاربيه:

«لماذا يؤلم الفئة الصالحة أن يتعرى المجرمون والقتلة وسفاكو الدماء والمفسدون في الأرض والذين تحاربهم الدولة بكافة علمائها ورجالها وأجهزتها الدينية والعسكرية الخ»[52].

«ليس من الظلم بل هو الظلم بنفسه لو تجنينا على طاش في حلقة الإرهاب أكاديمي وقلنا إنها تَطَاولٌ على الدين، بل ما هي إلا الحقائق التي أخبرنا إياها مشائخنا وعلماؤنا، عن أناس تغلغلوا في بعض أماكن تجمعات الشباب يغسلون أدمغتهم ويدعونهم للإرهاب»[53]. في المقابل علا صوت المدافعين عن المسلسل والمناهضين لتيار العنف والتصفية الذين باتوا يعتقدون أن مسلسل طاش لم يعد برنامجاً تلفزيونياً بل برنامجاً فاعلاً في حركة الإصلاح والتنوير إن لم يكن بطلاه بطلَيْن حقيقيَّيْن في معركة التنوير ذاتها.

«ناصر القصبي وعبدالله السدحان ليسا ممثلين بل هما من

---

(52) حسن محني الشهري 25-9-1427هـ/ 17-10-2006م.

(53) محمود عقيل، جريدة البلاد، 12-9-1427هـ.

رواد التنوير والانفتاح في البلد، ومن أكثرهم صلابة ونضالاً وصبراً على الأذى الذي لم يحفظ، في أحيان كثيرة، كرامة، ولم يوفر عرضاً، ولم يتوان عن الطعن في كل موضع خلط الحق بالباطل. ولقد كثُرَت التُّهم حتى لم يبق شيئاً يقال سوى التكرار مرة تلو الأخرى، ثم بلغت الأزمة ذروتها بالتهديد بالتصفية والتحريض على ذلك وهي خطوة خطيرة تراهن على حماس شباب شديد الحماس، سريع الانصياع خصوصاً إذا مسّ الأمر العقيدة، أو دخلت التهم دوائر الكفر والتكفير فيندفع بروح اليقين، وحسن الإخلاص راجياً الأجر والثواب لتتكرر حالة فودة ومحاولة اغتيال نجيب محفوظ»[54].

«لا يزال بيننا فئة لا تريد أن ترى نفسها إلا بصورة مثالية مُتَخيَّلة، كمن يضع رأسه في الرمل ولا يرى عيوبه وأخطاءه ويعتبر أن النقد موجّه له هو بالضرورة معادياً لشخصه وقيمه وأعرافه مع أن العكس هو الصحيح فكلما زاد نقد الذات كسب المجتمع احترام الآخر»[55].

«هوس المعاكسة في الجوال، والمراهقة المتأخرة، واهتمامات الشباب السعودي الهامشية في حياة يومية مترفة وغارقة بالاستهلاك التنكولوجي الترفيهي، وسعار الأسهم الذي يلبي الرغبة الكسولة في المرابح الخيالية من دون عمل سوى متابعة شاشات الأسهم. . . وحتى قضايا التطرف لدى شريحة

---

(54) جاسر الجاسر، مجلة إيلاف الإلكترونية، الجمعة 6 اكتوبر 2006م.

(55) حزاب الريس، جريدة الحياة، 14-10-2006م/ 22-9-1421هـ.

من شرائح المجتمع... كل هذه المسائل موجودة وحاضرة في حياة السعوديين... ويلمسها الغريب المقيم هناك... مثلما يلمسها المثقفون السعوديون المتنورون الذين يمارسون نقدهم على صفحات بعض الصحف من خلال الزوايا والأعمدة ومقالات الرأي. فلماذا حين قدمت على شاشة التلفزيون، وبأسلوب فني ظريف وفكه، وفيه مصداقية كبيرة في تمثل مفردات البيئة، بدا كل هذا تشويهاً وافتراءً... وسخرية جارحة من مجتمع بريء مما يصفون؟!»[56].

«طاش ما طاش عمل تلفزيوني ينتقد ظواهر اجتماعية كثيرة فلماذا لم يكن يسيء إلى سمعة الوطن عندما كان يتناول الأجهزة الأمنية أو الفساد الإداري والمالي؟ ولماذا أصبح فجأة عنوان الشر، وحامل لواء الكفر عندما تطرق إلى الإرهاب؟ وكيف استحال تناوله لبعض الممارسات المتطرفة من بعض الأشخاص إلى استهزاء بالدين والعلماء؟»[57].

«من حق المعارضين الاعتراض والنقد، إنما المخيف أن يصل نقدهم إلى التهديد بالإيذاء الجسدي وبالاغتيال في صفحات الانترنت، هذا تجاوز لحدود الاختلاف الثقافي والفني إلى ساحة العراك والاقتتال الإرهابي»[58].

---

(56) محمد منصور ناقد فني من سورية، القدس العربي.
(57) جاسر الجاسر، إيلاف، 6-10-2006م.
(58) عبد الرحمن الحبيب، الوطن، 22-9-1427هـ.

«طاش المسلسل الذي يشاهده الأغلبية إن لم نقل الكل هو كذلك الذي تمتلأ المساجد بمنشورات تحريمه وتطلق بسببه الفتاوى ويحذر منه في طوابير المدارس وبعد الصلوات وتخصص له خطب الجمع. ورغم أن الكثيرين ممن يقومون بهذه الأعمال لم يقدموا للمواطن مثل ما قدمه طاش ما طاش فهو الذي اهتم بقضايا الناس الحقيقية كالفقر والتطرف وقلة الوظائف وجشع الأغنياء»[59].

حاول بعض الكتّاب طرح أسئلة يُعتمد فيها على عقل القارئ والمشاهد لتبيان خطأ التحامل على مسلسل مثل طاش. لم يأت من المظاهر والمشاهد ما لم تأت به الفضائيات التي يشاهدها هو ولا يحتج عليها فيقارن الكاتب بين ما يدور في المسلسلات التلفزيونية المصرية التي تعرضها الفضائيات مثل قناة دريم وغيرها وما تحويه من مشاهد الرقص الشرقي وهز الوسط ومسلسل الخيالة الكويتي الكوميدي الذي لا يخلو من مظاهر الجمال والدلال، ورغم هذا فلا «نسمع ولا حتى مجرد اعتراض من الآخرين على تماديهم في هذه المشاهد التي نحن أكثر مشاهديها. فيما يواجه نموذجنا «مسلسل طاش» ما واجه، وقد وصل الأمر إلى حد تحريم مشاهدته»[60].

أخذ بعض الكتّاب يعقدون المقارنات بين مسلسل طاش ما طاش ومسلسلات أخرى لم تقم القيامة ضدها، «فيلم

---

(59) عبدالله المطيري، الوطن، مرجع سابق.
(60) عبدالله الفوزان، الوطن، 1-11-1424هـ.

يعقوبيان تعرض للإرهاب والفساد والشذوذ الجنسي والفساد السياسي والاستغلال فلم تقم قيامة الأزهر ولا الشعب المصري ولم يتعرض أحد من طاقم العمل للتهديد بالقتل والتسفيه والتشهير والتحقير والتحريم وغير ذلك مما يتعرض له طاش ما طاش»[61].

«هل بالإمكان أن نتصور تقديم عمل درامي تمثيلي يسعى إلى محاربة الإرهاب لرجل ملتح يتذرع بالإسلام ويستغل مفاهيمه دون أن يُصور الإرهابي كرجل ملتح يتذرع بقال الله وقال الرسول يقصر ثوبه ويردد المقولات التي يرددها الملتزمون وذات المصطلحات التي يحتويها خطابهم ويهتم بأن تكون تفاصيل البيئة شكلياً مثل التي يعيش فيها الملتزم؟ كل هذا لكي يصور المتلقي كيف يستغل هؤلاء الأشرار النصوص والمقولات الإسلامية لخدمة أغراضهم!»[62].

فسّر بعض المدافعين تلك الهجمة الشديدة على طاش ماطاش بأن الحملة على المسلسل لم تكن حملة ضد مسلسل تلفزيوني يستفز الناس بقضاياه، بل بسبب أن هذا المسلسل يشغل الناس، ويسحب البساط من تحت أرجل المتضررين، ويصبح أبطال المسلسل نجوم المجتمع في رمضان بعد أن كان شيوخه وعلماؤه وأئمته نجوماً بلا منافس.

---

(61) عبد المحسن الرشود، جريدة الوطن، 20 رمضان 1427هـ.
(62) عبد المحسن الرشود، جريدة الوطن، 12-10-2006م.

«في بداية التسعينات ميلادية وعندما حسبوا بأنهم أصبحوا الوحيدين بدون منافس بعد أن غيبوا الحداثيين، ظهر عليهم مارد صغير بدأ يكبر في عيون وقلوب الناس اسمه طاش ما طاش. وأخذ المسلسل الدرامي الاجتماعي الكوميدي المحلي يزاحمهم، وفي كثير من الأحيان يتفوق عليهم في جذب الرأي العام ولم يعودوا وحدهم نجوم المجتمع بل زاحمهم نجوم إبداع حقيقيون»[63].

«تحدثت حلقة «إرهاب أكاديمي» عن الإرهابيين الذين يستغلون الدين. فكيف يريد هؤلاء من طاش أن يصور الإرهابيين؟ هل يصورهم حليقي اللحى وثيابهم مسبلة ويلبسون البناطيل، ويشعلون السيجار أو الغليون. إن جميع الشخصيات الإرهابية الذين رأيناهم يطيلون اللحى وثيابهم قصيرة وهكذا. ولذلك فإن وصف طاش لهم من باب واقعهم المعيشي، وليس ذنب طاش أن يجعل صفات الإرهابي كتلك التي غضب من غضب لها فهذا واقع الإرهابيين، وتصوير طاش تصوير للواقع. فهل يأتون بأبطال الكاوبوي ويقولون هؤلاء هم الإرهابيون»[64].

---

(63) عبد الرحمن الوابلي، منتدى المنتديات، 20-11-2006م.

(64) عبد المحسن الرشود، جريدة الوطن، 20 رمضان 1427هـ/ 12-10-2006م



خاتمة

إن القول بأن ظاهرة طاش ماطاش مجرد ردّ فعل اجتماعي تجاه عمل تلفزيوني هو تبسيط لأزمة ثقافة ذهنية التحريم في المجتمع السعودي بحيث يمكن القول إن ما تعرّض له طاش هو واحدة من ظواهر ذهنية التحريم التي لم يكن مسلسل تلفزيوني هو الباعث لها والمحرك الأساسي. ولا أظن أن المتابع لمعارك هذا المسلسل من خارج السعودية قادر على فهم ردود الأفعال المبالغ فيها في التعامل مع برنامج درامي لا يعرض غير مرة واحدة كل سنة، لكن ردود الفعل الحادة هذه التي تثار حول مسلسل طاش ما طاش في حقيقتها ليست موقفاً من عمل فني بقدر ما هي مؤشر من مؤشرات، بل وأهم صورة من صور، أزمة التعبير وخنق حق الاختلاف داخل ثقافة التحريم التي سادت خلال الفترة الأخيرة من المد الديني، وتغلغل هذه الثقافة المتضخمة داخل معظم المؤسسات الحكومية والمجتمع السعودي.

لا شك أن التلفزيون لعب دوراً كبيراً في تضخيم دور

مسلسل تلفزيوني، مثل مسلسل طاش ماطاش، فالتلفزيون كأداة ثقافية مهيمنة تتوجه لشرائح المجتمع كافة ولا تشترط وعياً ثقافياً وفكرياً أو طبقياً لاستقبالها لأن استقبال الصور لا يحتاج إلى إجادة القراءة مثلا، وبالتالي فهو يمتلك قاعدة شعبية بالغة الخطورة بحيث تلغى معها الحدود والطبقات والتمييزات. والتلفزيون نفسه في سياق ذهنية التحريم هو وسيلة شيطانية تحرّض على اللهو وتبث أفكاراً منافية للأخلاق وللدين وقد كان التلفزيون في كل مراحل تاريخ ذهنية التحريم محرّماً مثله مثل وسائل الاتصال الحديثة، فقد كانت حركة الأخوان كما ذكرنا سابقاً ترى أن الهاتف والفاكس والمذياع هي وسائل غربية يتوسل بها الشيطان للوصول لأغراضه. وفي حركة جهيمان الأخوانيه كان التلفزيون هو واحد من تلك الأغراض التي تبث الفجور وتظهر النساء والمغنيات. ولم يختلف الحكم عند تيار الصحوة الإسلامية الذي ورث المحرمات نفسها. فعمل التيار الأصولي الصحوي على وضع مسلسل مثل مسلسل طاش ما طاش هدفا لحرب استخدم فيها الآليات التي عادة ما يستخدمها في حروبه ضد ظواهر التحديث والتغيير الاجتماعي بل وضد قوانين التغيير الطبيعية التي يمر بها المجتمع في سياقاته المتعددة الاقتصادية والاجتماعية.

«لم يكن تحريم المذياع والتلفزيون وغيره من الوسائل الحديثة إلا تماشياً مع هوس التحريم بوصفه أصلاً في ذهنية المهيمنين على الفكر الديني حتى يثبت العكس. وتم التحريم

بفعل قاعدة سد الذرائع وهو الحكم الذي لا يزال سارياً إلى اليوم بين الأوساط المتطرفة باستثناء فضائياتهم الخاصة، وقد حرمت الفضائيات التقليدية تبعاً لهذه القاعدة وكذلك الانترنت وتعليم المرأة منذ عقود كما مُنع عليها حق امتلاكها بطاقة مدنية وقيادتها للسيارة إلخ من الأشياء »[1]

«فالصورة عموماً تشكل منطقة محرماً الاقتراب منها، وإذا كان المجتمع بدائياً في طريقه تعامله مع المتغير الحضاري وكيفية استقباله، وإذا كانت الصورة هي أحدث تمظهرات التغيرات الاجتماعية فهي ما تزال تشكل له هاجساً نفسياً يجعل منها منتجاً مرفوضاً رفضاً قاطعاً أو في المقابل مستهلكاً استهلاكاً مضراً أكثر منه نافعاً، ويزيد من الطين بلّة أن يأخذ منتجو الصور على عواتقهم نقد السلوكيات التقليدية الخاطئة كما في مسلسل جماهيري عريض كطاش ماطاش»[2].

واجه التيار الصحوي الحديث، الذي يتفق مع هوس التحريم، موضوع النظر إلى التلفزيون كمحرم في مطلع التسعينات. والمعضلة أن التلفزيون الفضائي لا يمكن التحكم ببث برامجه، كما لا يمكنه حشد جهوده كما فعل سابقاً من أجل الضغط على الحكومة والتحكم باشتراط ما يظهر فيه. لهذا فإن بث مسلسل طاش ماطاش في القناة الأولى من

---

(1) محمود بن محمود، سد الذرائع، الرياض.

(2) شتيوي الغيثي، جريدة الوطن، 21 رمضان 1427هـ.

التلفزيون السعودي والذي يتعرض من بين ما يتعرّض له لنقد أهل التيار الديني ومعتقداته وسلوكياته، جاء محرضاً لذهنية التحريم التي يقودها التيار الصحوي السلفي لإثارة تلك المعركة ظناً منهم أنهم قادرون على ضبطه أو إلغائه. والجدير بالذكر أن التلفزيون السعودي كان يسعى لمراضاة هذا التيار فقام بوضع برنامج ديني قدمه واحد من رموز هذا التيار الصحوي خضوعاً لضغط هذا التيار.

لقد عكست الصحافة طوال سنوات عرض طاش ماطاش صورة وإن لم تبدُ كاملة وشاملة عن معركة كبيرة يخوضها مسلسل طاش ماطاش. فالمسلسل لم يعد مسلسلاً فنياً يحاكم على أدائه الفني والتقني، بل أصبح مضمونه الفكري الذي يواكب التغييرات في المجتمع هدفاً للنقد والاعتراضات. وقد كان دور الصحافة التي تخضع للرقابة الحكومية ولضغط التيار الديني محدوداً ومرتبكاً ومتغيراً في الوقت نفسه، فبحسب الظروف التي يمكن أن تعمل على توسيع حرية الراي أو تضيق عليها تخرج الآراء والانتقادات والتعليقات.

* * *

لقد اعتمدتُ في أفكار هذا الكتاب على مجمل ما نشرته الصحافة عن طاش ماطاش ثم أخذت عينة من تلك المقالات مثلت 411 مقالاً لقياس اتجاهات الراي التي عكستها الصحافة السعودية وما نقلته عن بعض الصحف غير السعودية، شكلت مقالات الرأي فيها ما نسبته 61,31% من عينة البحث فيما مثلت

أخبار طاش 31%، أما أخبار مقالات العرض فبلغت 12% من المادة المنشورة، وبلغت اللقاءات 6,81% والكاراكتير 2%.

وقد كشفت الأرقام أنه على الرغم من شدة المعارضة التي بدت على السطح إلا أن مقالات الرأي أشارت إلى النتائج التالية:

- الآراء تؤيد ما جاء في طاش ماطاش بلغت 63%
- الآراء التي تعارض وتهاجم طاش ماطاش 37,37%

عكس الإحصاء الذي قمنا به نسبة مرتفعة من مجموع الآراء التي تدافع عن طاش ماطاش وتقف في صفه ضد قوى التحريم والتجريم رغم الرقابة الصارمة التي تخضع لها الصحافة. كما أن هناك كثيراً من المحاذير والتحفظات التي يقيم لها الاعتبار بعض كتّاب الرأي والتي تمارس ضغطها عليهم وتمنع بعضهم من التصريح وتدفع البعض لممالأة التيار الأقوى، سواء التيار المتشدد أو تيار السلطة.

وكما ذكرنا سابقاً فإن إحصاءات شركة ابسود الأمريكية «أشارت إلى أن مسلسل طاش حظي في السنة الرابعة عشرة من عرضه على قناة الـ mbc بنسبة مشاهدة بلغت 60% من بين نسبة مشاهدي البرامج في القنوات العربية في العالم العربي، وهي نسبة حسب وصف موقع العربية فاقت نسبة مشاهدة مباريات كأس العالم»[3].

---

(3) العربية نت 2006م.

تبعاً لنظرية الصمت الحلزونية فإن النمط التعبيري عن الأفكار يرتبط بإحساس صاحب الفكرة وكلما كان لدى المرء إحساس بأن فكرته فردية ولا تحظى بقبول كبير مال إلى التكتم عليها ولجأ إلى الصمت بينما العكس صحيح حيث إن الذين يشعرون بأن أفكارهم ذات قبول عريض يميلون إلى إعلاء صوتهم، ومن هنا تبدو أفكار الأكثرية أعلى من حجمها الحقيقي وفي المقابل ستبدو أفكار الأقلية أصغر من حجمها الحقيقي بكثير [4].

وقياساً لحجم الهجوم على المسلسل مقابل نجاحه نجد أن الهجوم قد بدا كبيراً ومؤثراً أكثر مما هو عليه لأنه هجوم صارخ تسانده قوى تحظى بالشرعية الرسمية وتتوسل الذرائع الدينية، وتتبناه المؤسسات الحكومية من خلال أفرادها المنتمين لقوى التيار المعارض، وبدعم أكبر هيئة دينية في السعودية، تسخّر له مكبرات الصوت في المساجد، والمنشورات والمطبوعات التي تضخها أيديولوجية تحريمية متمددة ومنتشرة وسط تاريخ وثقافة المجتمع السعودي، ويحرسها أئمة المساجد وشريحة عريضة من المعلمين في المدارس والجامعات. خاصة أنها تستخدم الوسائل الشفوية سريعة الوصول للناس وفي ثقافة شفاهية، متدينة بطبيعتها تخشى معارضة ما يقوله الشيوخ وتعتبرها أحكاماً نهائية لا جدال فيها.

---

(4) عبد الله الغذامي، الثقافة التلفزيونية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004م، ص17.

بسبب كل هذه المحركات بدت المعارضة التي تكفر طاش ماطاش ذات صوت أعلى مما هي عليه، وبقدر ما أخذت هذه المعارك من حيز أهدر قوة وطاقة الفكر التنويري في المجتمع السعودي، وشغل صفحات الرأي في صحفها السعودية، إلا أنه في الوقت نفسه منح هذا المسلسل نجاحاً شعبياً لم يكن يتأتى له لولا تلك المعارضات التي لفتت النظر إليه، وجعلت منه رمزاً من رموز الحرب على قوى الظلام والظلاميين الذين يريدون شد المجتمع إلى الوراء وتعطيل تقدمه، ومحاربة التفكير. فـ«سيل الانتقادات التي يواجهها كل عام بطلا مسلسل طاش ما طاش أصبحت تزيد من نقاط قوة العمل وتلقي بثقلها على مواجهة هذا المسلسل لفكر تكفيري لم يكتف فقط بالتحريم وبالتجريم».

«السدحان والقصبي ثنائي مبدع والناجحون دائماً عرضة للانتقاد».

وفي نهاية الأمر فإن ردود الفعل الحادة ضد مسلسل طاش ماطاش، الذي قدر له أن يحظى بأكثر مما حظي به أي عمل فني سعودي، ما هي سوى حلقة من مسلسل قديم هو مسلسل مواجهة ذهنية التحريم في المجتمع السعودي، هذه الذهنية التي لا تفتأ تفاجئنا كل يوم بدعاوى كثيرة ليس لها سوى عنوان واحد متكرر: التحريم هو الأصل. وهي بذلك لا تدافع عن الدين الذي يعتبر الإباحة هي الأصل، بل تدافع عن مواقعها ومصالحها.

إن تيار «ذهنية التحريم» لا يزال يشنّ هجماته وغاراته وسط مجتمع لم يعدم يوماً من المفكرين والسياسيين والمثقفين الذين يتصدون له لأنهم يؤمنون بأن مجتمعهم لا يملك أن يعيش وسط العزلة، وأنه بتكاتف المصلحين والمتنوّرين فيه يمكن له أن يكون مثل مجتمعات العالم النامي، قادر على صنع مستقبله الذي يطمح إليه كل محبيه، مستقلاً مشرقاً بالمعرفة والفن والحرية وهي الأعمدة الثلاثة لمستقبل مضيء!

المحتويات

بدرية البشر

معارك «طاش ماطاش»

لم يكن مسلسل "طاش ما طاش" سوى حصاة صغيرة في بركة راكدة، وبمجرّد رمي هذه الحصاة ظهر كم هو كبير عدد الناس الذين ما عادوا يطيقون هذا الركود المليء بما لا يرضى عنه مجتمع سليم.

لقد تفاعل الناس بشكل كبير، بل أكبر من كل التوقعات، مع المسلسل، سواء لجهة القالب الفني (الكوميدي) أو الموضوعات التي يثيرها ويطرحها. بل كانوا يضغطون على المسلسل في عملية دفع نحو حلقات أكثر وأكثر جرأة.

لقد أبرز هذا المسلسل المسكوت عنه في المجتمع السعودي، وصارت كل حلقة منه مدار نقاش في الشارع، وانقسم الناس بين منتقد ومتّهم ومتحمّس.

من هذا الموقع ولهذه الأسباب جاء هذا الكتاب ليبحث ليس فقط في تأثير المسلسل ودوره، بل ليبحث قضايا المجتمع السعودي الذي وبسبب ذهنية التحريم غاب عنه النقاش الحرّ لقضاياه ومطالبه، وبسبب الخوف خضع لفئة نصبّت نفسها سلطة على المجتمع، تحرّم وتحلل وفق أهوائها ومصالحها.



الدار البيضاء: ص.ب 4006 (سيدنا)
هاتف: 303339 22 212+ فاكس: 305726 22 212+
بيروت: ص.ب: 113/5158
هاتف: 750507 1 961+ فاكس: 343701 1 961+
markaz@wanadoo.net.ma cca_casa_bey@yahoo.com



كذبة طاش وبدرية البشر على العلماء .. في مسألة البرقيات .. !

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

توضيح هذه الكذبة وغيرها من الكذبات التي اعتاد عليها أهل الإفساد ؛ لتشويه الالتزام بشرع الله ، وبالعلماء والمستقيمين من أهل هذه البلاد ، أنهم يتلقطون أخطاء الجهال ، فيُعممونها على العلماء وطلبة العلم والأخيار ، متجاهلين أن العلماء هم أول من تصدى لها وأنكرها ، وناصح أهلها ، وبين لهم خطأهم . وهذا من الاصطياد في الماء العكر . وليس العجب من كذبهم ؛ لأن كذب الحاقد أمرٌ مفروغٌ منه ، ولكن العجب أن يسمع لهم بعض الطيبين ، فيصدقوا كذباتهم ، والله يقول : (وفيكم سماعون لهم) .

أمثلة :

١- تراهم دائمًا إذا ما أرادوا ذم الأخيار ، رددوا قصة الإخوان الذين اختلفوا مع الملك عبدالعزيز – رحم الله الجميع – ، متجاهلين أن العلماء هم أول من تصدى لهم ، وناصحهم ، وحذر منهم !

٢- ومثلها : يرددون حادثة جهيمان ! والعلماء هم أول من أنكر عليه وتصدى لهم .

٣- ومثلها : ترديدهم لحادثة من أنكر تعليم البنات (خشية أن يكون كالتعليم في الدول الأخرى المبتلاة بالاستعمار) ، فبين لهم العلماء ووضحوا شرعية هذا الأمر بضوابطه . وتوضيحه في (هذا الرابط) .

وأهل الإفساد لا يرضيهم أن يتصدى العلماء وطلبة العلم للجهلة ؛ لأنهم يريدون تشويه (الجميع) ! بل لو كانوا صادقين مع أنفسهم لقالوا : نريد تشويه الاستقامة على شرع الله ؛ لأنها تعارض أهواءنا وشهواتنا ، ولهذا نلجأ للتلبيس على الناس بطمس جهود العلماء ، والتركيز على أهل الجهل ، مع تعميم حالهم ؛ للتشويه والصد – كما سبق – .

ومن هذا : ماقام به فريق الطائشين في " طاش " – وهو مسلسل يقف وراءه أهل مكر وتخطيط ، يطرحون من خلاله فكرهم بواسطة المهرجَين – ، حيث ادعى هــؤلاء – ومعهم بدرية البشر في كتابها الأخير عن طاش – أن أهل الاســتقامة قــد حرمــوا " البرقية " أول دخولها المملكة !! متجاهلين أن من حرمها هم فئة من الجهال (بغض النظر عن نيتهم الطيبة) ، أما العلماء فقد تصدوا لهم ، وأنكروا فعلهم ، وأصــدروا بيانًا بهذا ، لن يفرح برؤيته أهل الإفساد . وهذا نصه من مصدر مقبول منهم ، وهــو كتاب " عند الصباح حمد القوم السرى " ، للأستاذ عبدالعزيز التويجري ، الذي نــشر صورته أيضًا . (ص ١٤٥-١٥٠) :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبداللطيف ، وسعد بن حمد بن عتيق ، وسليمان بن سحمان ، وعبــدالله بن عبدالعزيز العنقري ، وعمر بن سليم ، وصالح بن عبدالعزيز ، وعبدالعزيز بــن عبداللطيف ، وعمر بن عبداللطيف ، وعبدالله بن حسن ، وعبدالرحمن بن عبداللطيف ، ومحمد بن إبراهيم ، ومحمد بن عبدالله ، إلى من يراه من كافة الإخوان ، وفقهم الله لما يُحبه ويرضاه ، وجعلنا وإياهم ممن اتبع هداه ، آمين : السلام عليكم ورحمــة الله وبركاته ، وبعد ذلك : أشرفنا على بعض مكاتيب الإمام عبدالعزيز ، وفقه الله وحفظه ، إلى بعض الإخوان ، ورأينا فيها بعض الكلام على مسألة " الأتيال " (التلغــراف) وأجناسها ، وكأنه مشكل عليكم توقفنا العام الفائت عن الجزم بالتحليــل ، وظننــتم أن عندنا أمرًا قد كتمناه عنكم ، وهذا ظن ما ينبغي مــنكم بنــا ، نحــن إخــوانكم ، لأن الواجب عليكم أن لا تظنوا أننا نتوقف عن شيئ قد ظهر لنا حكمه مراعاة لوجه خدمة الناس ، فنعوذ بالله أن نكون كذلك ، وإنما توقفنا اتباعًا لأمر الله ، وما جاء في ســنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله سبحانه : (ولا تقولوا لما تصف ألــسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام اتفتروا على الله الكذب) ، ونحن ما نقول ولا نعمل ، إن شاء الله ، إلا بما ظهر لنا من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال السلف ، رضي الناس أم غضبوا ، وعند العلماء عادة مشهورة ، وهي أن العلماء إذا توقفوا في شيئ واختلفوا

فيه فلا يُعاب على فاعله ولا يعاتب على تاركه إلا بدليل شرعي ، فأما مسألة " الأتيال " وأجناسها فلا والله ، ونبرأ إلى الله ، أن يكون قد ظهر لنا فيها أمر محرم من كتاب الله أو من سنة رسوله أو من أقوال العلماء ، أو من أهل الخبرة ممن نثق به ، فنقول : من تكلم في مسألة الأتيال بتحريم ، أو عاب على الإمام بسببها والحالة هذه ، فقد أخطأ وارتكب معصية ، وخالف أمر الشريعة . هذا الذي ندين الله به ، وهو الحق ، ونبرأ إلى الله من غير ذلك . هذا الذي عندنا (ومن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها) ، نرجو الله أن يُلهمنا وإياكم رشدنا ، ويُعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، والله على ما نقول وكيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين " .

تعليق

١- الاندهاش من المخترعات الحديثة التي لم يعرفها بنو آدم إلا في هذا العصر أمر فطريٌ في الإنسان ، الذي من طبعه الجبلي استنكار كل جديد وغريب ، إلى أن يتعرف عليه ، فيُصدر حكمه عليه . ولاعلاقة له بدين أو مكان الإنسان . (ولنتذكر قصة موسى عليه السلام مع العصا التي انقلبت إلى ثعبان كيف ولى مدبرًا) وعندي الكثير من الأخبار عن اندهاش الناس في المجتمعات الغربية – نفسها – لما شاهدوا بعض المخترعات ، ومثلها عن الدول العربية ، سأنشره قريبًا إن شاء الله . فمن المؤسف أن يأتي إنسان في هذه السنين – بعد أن ألفَ الجميع المخترعات وعايشوها – ليضحك من تصرفات الأولين ، ويسخر منهم ، وأظنه لو عاش عصرهم لفعل أعظم من فعلهم ! ولهذا :

٢- ما أجمل ما قاله محمد جلال كشك – رحمه الله – مدافعًا عن الإخوان الذين سخرت منهم بدرية وزوجها ، قال : " وهذا الرفض للمخترعات قبل فهم سرها ، يدل على عقلية أكثر علمية ، وأكثر احترامًا للنفس ، من المتخلف الذي يتعاطى هذه المخترعات دون أي انفعال ، رغم مخالفتها لكل قوانين عالمه ، وجهله المطلق

بفكرتها تمامًا ، كتعامل القردة مع الآلات ، إن الخوف من المجهول هو أول درجـات العلم .. الخ ماقال " . (السعوديون والحل الإسلامي ، ص ٥٨٨) .

٣- في مقابلة جريدة شمس مع بدرية البشر المهاجرة وزوجها من بـلاد التوحيـد ! سألها الصحفي : " حصلتِ على الماجستير من جامعة الملك سعود فـي (الريـاض) والدكتوراة من الجامعة اللبنانية،في (بيروت) ..ما الفارق الذي لفت نظـرك بـين الجامعتين والعاصمتين؟ " .

أجابت : " منحتني بيروت شاطئها أتريض عنده حين حرمتني الرياض من أسواقها إن خالفت شريعة وضع العباءة على الرأس وليس الكتف ، ويطردني مطاوعتها منها " !!

قلتُ : مسكينة أنتِ يا بدرية !
لبنان التعيس .. الذي يئن تحـت وطـأة الحـروب ، والتفجيـرات ، والنزاعـات ، والاغتيالات ، والأحزاب ، والاقتصاد المنهار ، والحال السيئ الذي لايتمنـاه المـرء لمن يُحب .. كل هذا نسيتيه ؛ لأجل أنكِ تمددتِ على شاطئ البحر بدون عباءة !! ما أحقر أمانيكم !

ومادام هذا مستوى تفكيركِ فإني أقترح عليكِ وزوجكِ – بعد أن انسلختما مـن بـلاد التوحيد – أن تنسلخا – أيضًا – من جنسيتكما ، وتهدوها إحـدى العوائـل اللبنانيـة البائسة التي تحلم بمثل هذه الجنسية ؛ لتعيش حياة الفضيلة والعز ، بعد أن زهد فيهـا مرتاضو الشواطئ !

أصلح الله حالكِ وزوجكِ .. وكفانا شر أهل الإفساد بما شاء .. والله الموفق .

سليمان بن صالح الخراشي